

في تربية النفس

لا جدال في ان المعرفة هي خير مطية في مراحل المثل الاعلى ، لكن الله ، ما اكثر الذين يعرفون الخير ولا يتبعونه ... ما اكثر الذين تعوزهم الارادة الكافية لئذ جهد دائم مستمر يكون من شأنه التغلب تغلباً حاسماً ، على الملكات الرديئة والاهواء السيئة . لذلك كان ما يطلب الى المربي اولاً ، ان يعلم تلاميذه كيف يريدون ، فيجعل منهم اناساً يوسمهم الحكم حكماً صحيحاً على الحوافز والاسباب الدافعة الى العمل ، والتمييز الواعي الحصيف بين السبل المختلفة المتعارضة ، لاختيار السبل الارشد .

ويطلب الى المربي ثانياً ، وقد علم تلاميذه كيف يريدون ، ان يعلمهم المحبة . فالشر كل الشر ان يعتقد الناس بأن ثمة حالات يستطيع الانسان فيها ان يعامل اخاه دون محبة . فهذه الحالات لا وجود لها مطلقاً . للمرء ان يقطع غصناً ، او يطحن حبة القمح او يحرق الخطيئة ، دون ان يحتلج قلبه بشعور ما . اما ان تزل بأنسان قدمه ، على مشهد من انسان آخر — سواء أكان مجهولاً منه ام معروفاً — فتتطلق عفواً ، من اعماق المشاهد ، صرخة : « الله ا » ومعناها : « وقت شر العشار » فذلك امر طبيعي ، وتلك هي صرخة المحبة العفوية المتبادلة بين الانسان واخيه الانسان . الى انحاء هذه العاطفة العفوية وتغذيتها ، يجب ان تتوجه عناية المربي ، حتى تصبح عاطفة حب خالص . ان المحبة هي القلب النابض في جثمان البشرية ، وسكون القلب النابض هو الموت في شر مظاهره .

وليس هذا النوع من التشويق او تربية الذات الانسانية حلاً من الاحلام ، او وهماً من الاوهام . ففي النفس البشرية ميزتان تجملان ذلك في حكم المستطاع ، ان لم نقل في حكم الميسور : للانسان اولاً عقل يمتاز بالانطواء على ذاته ، والرجوع اليها بالتدبر والروية ، وهذه هي مزية درس الانسان لذاته . وثانياً يمتاز بحساسية النفس وتهذيبها واصلاحها ، وهذه هي مزية تكوين الذات .

وهكذا فالمرء الذي يستعيد ذكرى اعمال سلفت ، ويلاحظ اعمالاً تحصل في حاضره ، فيقابل بين ما فعل ويفعل ويهم ان يفعل ، يستطيع التعرف الى ذاته . لكن مزية الانسان الفضلى هي ، بعد تعرف ذاته ، قدرته على تكوينها وتوجيهها في سبل الخير والمحبة .

القول في هزلنا

بسم محمد كرد علي
رئيس للجمع العلمي العربي بدمشق

الهزل ينفع في الاحايين ، والجذ نافع كل حين . والهزل يدخل المرح على النفوس المتعبة ولا يستغنى عنه الانسان وهو عون له على الجد ، فاذا استكثر منه يسمج ولا ينفع . ويغلب الهزل على من كان تحصيل الرزق هيناً في ارضه ولهم بعض الفراغ يكون فيه الى اصحابهم واعلامهم ، وربما كانت الدعاية من شأن اهل المناطق الحارة اكثر من المناطق الباردة . والمرء على كل حال مطلوب لحواله ودم آياته .
يكثر الهزل في الحواضر لانها لا تحلو ابداً من متبطلين يعيشون على الغماش عيشاً اتكالياً او من اناس يكون عيشهم رغداً بدون سعي عطية . ويدعوهم اعتدادهم بانفسهم الى الاسترسال في التهمك ويساعدهم على ذلك دعواهم انهم تحضروا اكثر من سكان الاراض والارياف والصحارى والجبال ، ودقت افواقهم ودقت حواشيه وحسن هندامهم وزيه ، ولطفت مجالسهم وامصارهم . يزورون بين لا يرضيهم شكله وثوبه ، ولا تروقه لهجته وحر كته ، يسخرون من الفلاح والبديوي ، ومن الغريب والمطاري . ويتعاشون السخريه بن وقو في نفسه انه متمدن وجار من امة عرفت بانها من الشعوب الراقية .

داء الاستهزاء قديم في العرب . فقد حدثنا القرآن ان من ضربوا الابداء الذي كانت قريش تؤذي به الرسول عليه الصلوة والسلام في مبدأ دعوته الاستهزاء ، فكفاه الله شرهم . وبذلك المشتهرين . ورأينا اهل الشام اي العرب الذين تولوا في الفتح ، منذ القرن الاول للهجرة يستهزئون برجال الدولة ويلقبون السخفاء . فمن دونهم القبايل غوية يقصدون بها السخريه منهم والولع بهم .
ومن جعلوا الهزل ديدنهم وانغرقوا في استعماله لا يلتفتون فيه الى حد ما يتجاوز به ، وقد يؤدي هزلهم الى ايلام من يسخرون منه . ومنه وابداؤه باله وجسمه ، يثقل ما يخطر لهم من المساخر اتيج تمثيل ، يعيشون بين يهون عليهم العتب به لا يبالون عاقبة ما يجنون اذا كان في هزولهم ذريعة الى ضحكهم واضحاك دفاقهم . ومثال هذه السخريه المؤذية ما ارتكبه ضيفان الشاعر الاساسي في قرية جروايا غربي دمشق ووصفه في قصيدته الرائعة التي اوردها صاحب البيتية . ومن الغريب ان معظم ما اجترحه اولئك المازلون من قبل اكثر من الف سنة مازال مألواً الى اليوم في بعض البيئات الشاميه .

رايت وصحت ان من المازلين من يشق عطف من يبرز به او صدرته او قبته او قفطانة او سراويله او طربوشه او عمامته او حذاءه او نعله او يزرعاً جيداً . ومنهم من يقطع له لى تارجيته او يكسرها او يسرق له او يكسر كأساً او اتا . او شوكة او ملقعة او تحفة طريفة او يترق له قاشه او ريشه او لحافه او فراشه او طغسته او ستارته او فروته . ومنهم من يبلغ به حب الاذى اذا وجد صاحبه مستلقياً او نائماً ان يشبك احد اطرافه بخيط او ديس فتتأثر بفعله بعض اعضائه متى تحرك ، ومنهم من يطعم المستهزاء منه لقمة مغموسة بشي . يضرب بصحته او يثقي نفسه او يشققة مادة يكثر بها سعاله وعطاسه الى آخر مخترعاتهم السفهية .

ان من لم يترق خطاً من ادب النفس لا يدرى كيف يهزل الهزل الجليل ، ولا كيف يتهمك التهمك الذي يسر ولا يسو ، وهزل الناس فرع من ادبهم يسمو بسموه وينسط بالحطاطه . ومن الهزل الفظيع ان بعض المفرطين في هزلهم قد يمتايقون اكاذيب مضرة تجوز على سامعيها كأن ينوعن اليه زوجته او اباه او امه او عزيزاً عليه وهم يظهرن الانسى على كل حال به فيلطمون وياطم . وهذه (المقالب) واحداها مقالب كما يسميها المصريون او (التراكيب) واحداها (تركيبة) كما يدعوها الشاميون) خالية من الذوق وفيها الغفظة والغفظة كلها ، لا يقدر فيها اصحاب الهزل مدى الخطر الذي ينشأ من هزلهم هذا .

عرفت رجلاً في مصر جمع الى نيل المحدث جميل الادب ، وعرف بابتداع (المقالب) يقصد بها ادخال المرح على اصحابه وتسليةهم فيها

لا تهرل له اعصابهم كثيراً . كأن يومهم بالواسطة عقوبة صديق له ان سيزوجها هذه الايام فيه ما يدعو الى الزينة فتغضب عليه وتغاقبه وقد يدعو جماعة من معارفه الى تناول الطعام في دار صديق لهم يوم كذا فيخف المدعوون كلهم الى دار صاحب الدعوة المزيفة في الوقت المعين .

ورأيت في دمشق رجلاً حرف عمره وهو يهرل بعض ساعات النهار والليل مع اصحابه ومعارفه ، واصحابه كثير مختلف درجاتهم في المدنية والثقافة تجلب إليهم بما يسعهم ، وما عرفت عنه انه اغضب انساناً بهزله ، ولا اساء الى قريب ولا بعيد بنقده ، او ظهر من كلامه بذادة وهراء ، اذا اجتمعت اليه لاجب ان تفرقه لكثرة ما يسعك من تكلم ويورد على سمعك من قصص ونوادير وبعضها واقعي تطيب بما يزعجها به من اقاويه ويعجزها كلها في قالب شفاف من رقيق حسه وصائب نقده ، وينسب بعض قصصه الى نفسه على الاكثر مخافة ان يركب كبيرة الغيبة والنميمة ، وفي هزله درس اخلاق وتقلد عادات .

ومن الهزل الذي يتعدى الخصوصيات الى العموميات ما اعتاده بعضهم من قلب الجدل الى هزل فنيا يخالف افكارهم ويعلمو عن تصوراتهم وعقولهم ، وهو من الفريق الذي يشق عليه ان يتفرد انسان بزية ويتقدم عليه ان يشاركه فيها . ولقد ينفع المستزثون من هزؤ بهم فيكون استزثؤهم مما زاد يدفع بهم الى التصاب في آرائهم ويتقدمون بالاعتاد ويكون نجاحهم في عنادهم وصبرهم على مرارة الاستنزاء . وربما اثر تهكم المتكلمين ببعض ضماض النفوس فقدمهم عن مقاصدهم واتى على منوياتهم او على ادبياتهم او عليهما معاً . وقد تفرغ هذه الفئة الحثيئة كلامها في قالب النصيح والشفقة او التخويف والتخدير ، والقصد مما تجعل له وضع العقبات في طريق من يهرل عليها محالكتهم . وكل من قرينة ضاعت بفعل المستهزئين فما اثبتت الى الحد الذي كان مقدراً لها .

ادركت عهداً كانوا يعدون فيه الفسائين وارباب الحرف الحرة من اصحاب الصناعات الدنيئة فيهرثون بهم علناً . رأيتهم يتكلمون بالموسيقار والمغني والشاعر كما يسخرون من الممثل والصحافي والناظمي . ومن ثبت من ابنا هذه الطرفة وما بالي بما اجمع من عبارات السخرية ، بات عليه نقد ان ثلاثة من السنين حتى شهد بييني رأسه اكثر اولئك المهازئين يرجعون عن هزؤهم القديم ويقولون ان هذه الصناعات شريفة لا يباح بها طعنه . لمي آتت على نفسه استعدداً لها . وكنت استاء . وانا اشهد قحة المستهزئين بالموسيقارين والمغنيين والشاعرين ثم من المثقلين والصحافيين والمهاجرين لم لا يهزؤون يا ترى بالهزورين والمرثئين والمتجسسين والسارقين ، ولا من يسلطون باسم الذين يجذعون ويضاقون وينافقون ؟ كانهم ما وصل اليهم حديث الموسيقى والفن . الشعر وما كان لها من ربيع المثرة في الدول العربية الاولى ، وكانهم ما سمعوا ان التمثيل والصحافة والحداثة نوع جديد من الادب والذرية والقضاء ، يدهاهل في الغرب من اعظم الناس ، ولكن كتب للشرقي ان يستريح الى هزله اكثر من جده والفتشة . ان اهله ان يجذوا سبيلاً الى اللعب بين لا يستحقون الا الاحبار والاعظام .

لما شرع ابو خليل احمد القباني في دمشق باقامة بنيات التمثيل العربي وانشأ بضع روليت مسرحية من تأليفه ونظمه وتلحينه كان المستهزئون من اعداء التجدد ومن حساد فضله يصفونه بوصاف يصفونها معنى التعجير وما زال الاعبياء الباعية حتى استصدروا ارادة سلطانية باقتال . مسرحه فرحل الى القاهرة وهناك ظهر نبوغه . وقديماً قالوا ازهد الناس في الرجل اهله وجيرانه . ولاني خليل هذا قصصة تبين بعض مكانته عند القلاء حدثني الثقة ان احداً اعيان دمشق احتفل لتلاوة قصة المولد النبوي ، وسن الوالي مدحت ياشاً رأس تلك الحفلة وهو حامي السيد القباني والمعجب بأدبه .

ولما كان وقت تلاوة المولد نادى الوالي صاحب الدار وقال له قل لاني خليل القباني - وكان في آخر صفوف المدعوين - ان يقرأ هو المولد . فدهش صاحب البيت من هذا الاقتراح ورأى فيه افتتاً على الملأ . وقد جرت عاداتهم ان يتكلموا بتلاوة هذه القصص في مثل هذا الحفل يقرأونها في نسخة مطبوعة مشكولة ثم عاد الوالي فأكد امره مرة ثانية فافسح صاحب الدار الا امثال امره ، فارتجى ابو خليل قصة المولد واخذ يعدد اعمال الرسول في هداية للشر بنفحة جميلة . واسلوب بدیع فكان الباشا يبكي ويشوق طوال ساعة المولد . اما هو فما قصد باختصاص القباني بقراءة البقرة النبوية الا ليقول لاولئك الشيوخ الرحيمين ان المسألة مسألة علم وادب لا مسألة القاب ورتب ، وان هذا الممثل الذي تسخرون منه لا تلحقون غباره في كثير من الخصائص التي تفرد بها .

ويهرل القديم بين يجدون فيه مجالاً للبرز في نظارهم واذا لم يظفروا بشي . من ذلك اختزعوا واختلقوا . ومن قصصهم في ذلك ان

العقد الطويل



سألتُ له الله ان يهدأ رفيق لحضرك ما يبثني
أطال على الصدر تعريجه وراح وجاء فلما اهتدى
فيا ست عفواً فان الذي على يوتي لذّة واشتيا
وعب من الأرج العنبري وشارف عند سقيط القميص
فقد تعب العقد مما رأى وكم قصر العقد كم ابطأ
ودار بكترين قد خبنا تدلّى ولكنه أجلسا
تعلق بالصدر ما اخطأ أطال الاقامة واستمرأ
عخافة في العمر ان يظلما نعم العيون الذي لألا

اصب قلله

ARCHIVE

السيد محمد عابدين اعظم فقهاء القرن الماضي كان ابنه تاجراً وثقته هو في الدين لا يتولى القضاء او الافتاء ، ولا لينال الخطوة من الرؤساء والامراء ، ثقته ليخدم الثرية وينفع الناس بعلمه . ولا بدأ يؤلف وهو دون العشرين استعمل معه بعض المشطين طريقتهم في السخوية فكان يسمي لغزهم ويتجاهل ما يبيتون من تهكم ، علماً منه بأنهم يمحرون به ويجاولون صده عما عقد العزم على المضي فيه . وما زال يصم اذنه عن هازلهم حتى اشتهرت تأليفه وفتاواه في حياته وكتب له الخلود وللآخرين الحزى . ولو عسا ابن عابدين بالمستترئين لضاع على الامة عالم عظيم نظم لها فقهها المبعثر كما ضاع عشرات من العلماء بفعل الهازلين .

ولا ازال اذكر ما كان يلقي طلعت باشا حوب من سخوية بعض معاصريه عندما كان يغاضهم في انشاء مصرف يحفظ للمدبرين بعض ثروتهم ، ويطلعهم على مسائل اقتصادية ومالية كانت وقتاً على الاجانب يستأثرون وحدهم بشمرايتها وكان كلما سخر الساخرون منه اشدت هو في جده حتى وفق الى انشاء بنك مصر ورفع عن امته عار الجبل سياسة المال . وما افلح في الحقيقة الا لا جعل هزل الهازلين دبر اذنه وتحت قدمه .

ربما كان الهازلون في الشرق الى قعة وسلطنة قد لا تمهد عند القرابين ، هذا اذا حكمتنا على هؤلاء بجلايتهم وجواندهم الهزلية وذلك لانهم يرون من سنن الادب ان يكتبوا افكارهم مع من لم يرتضوا حاله وقد انفوا ان يتركوا كل امري . وما يختار . فهم لا يختصرون عاملاً ولا يجوزون لانهم احتقار شي . يرجى ان يأتي منه نفع ويقولون ان لم يكن الامر الاستعداد الكافي يسقط عمله من ذاته ، فالاولى ان تلقى عليه تبة ما يجاول القيام به ويجعل ويطاول على الزمن يهديه الى ما لا يعلم . ثم هم لا يقطعون عاملاً من عمله ولا يقيمون لعمال عثرة في طريقه ، وهم ولا شك اقدر منا على ضبط النفس وكتمان العواطف ورعاية الظواهر واستعمال الجسد بقدر الهزل بقدر .

محمد كرد علي - دمشق

العلم الصحيح

بنم قنري عافظ طرفانه

مضو الجمعية الملكية الاسيوية في لندن وجمعية العلوم في
انكلترا واميركا وجلس الشلم العالي في فلسطين

ولا يجعل منه انساناً ينتمي الحق لوجه الحق وحده ، متواضعاً عاملاً
منتجاً يعمل على توسيع افق المعرفة بالدرس المتواصل والتفكير في
خلق الله ، والسعي لتتبع ما يجري حوله ، يقول ان العلم الذي لا
يخرج صاحبه بهذا كله ليس علماً صحيحاً بل هو علم ناقص زائف لا
حياة معه ولا تأثير فيه ، ليس فيه منافع او نفع .

ان في العلم الصحيح حيوية وتأثيراً وان يستطيع انسان ان
يحصل على هذه الحيوية وهذا التأثير الا اذا فكر وتعمق ودقق
وتابع واعتمد بالباب ودرى بالقشور واخذ بالجواهر .

لا يقاس علم الانسان بقدر ، بل يقاس بما يجده من حيوية
وتأثير على حمله ، فقد يكون علم الانسان محدوداً ولكنه تغذ به الى

الجواهر وعاش على الحقيقة فوجدها ، وعندئذ نجد ان هذا المقدار
المحدود (المتشاكل) من العلم عاد عليه بالسمو والتضي وبالاقتراب
نحو الكمال (الروحي) وهو بذلك خير من ذلك الذي قطع شوطاً
بعيداً في جمع المعلومات ولم يعرف كيف يعرضها وكيف يستفيد
منها ، فلم تخلق فيه روحاً عالياً ، وراح يظن انه قد علم وما درى
ان الانسان ما يزال عالماً ما طلب العلم فاذا ظن انه علم فقد جهل .

ان العلم الصحيح يخاطب في الانسان قضية العلم بما ليس يعلم ،
وهذه هي من اسمى الفضائل التي يورثها العلم لحامله ، تسود
بالانسان وترفع مستواه ، لو تمسك بها الناس لما تعقدت مشاكلهم
ولما زادت متاعبهم ولكانوا اذعن بالاً واهداً حالاً ، ولما تجلط
العلم تجلطه الحاضر بالفرور والانانية .

فلما أخذ الانسان العلم صحيحاً وليحاول ان يقف على ما بلغه
العلم من كشف انظمة الـكون ونواميس العالم ، وليسع ان يحيط
به احاطة معروفة وتدقيق ، وليبذل في الانتاج العلمي انصب
مجهود واحكمه وليعمل على اعلا شأن الحق وتجيده وليسكن
شعاره : الاخلاص للحقيقة ، ففي هذا كله عبادة سامية تدفع
بالانسانية الى حيث السمو والكمال .

قنري عافظ طرفانه — نابلس

ليست الشهادات والاقاب العلمية دليلاً على وجود روح
علمي في حاملها ، وليست المطالعة والقراءة
ما توجد هذه الروح ، فقد تكون لدى بعض الناس شهادات ، وقد
يكون لدى بعضهم القاب ، لكن ليس من الضروري ان يكون
في هذا ما يدل على انهم يعملون روح العلم الذي يوشد الى الحق
والهدى سائرين على ما يقتضيه هذا الروح من تحمل باخلاق سادية
ومسك بفضائل كريمة . وقد نجد انساناً يقرأون كثيراً ويصرفون
معظم اوقاتهم في المطالعة ، لكنهم لا يخرجون من ذلك بنا
يوسع امامهم آفاق الشعور والحكمة .

يدرس الانسان (ويحشو) دماغه بمعلومات مختلفة ، ويحاول
ان يقف على تفصيلات في بعض نواحي المعرفة ، ولكن كل هذا
لم يغير من روحه ولم يطمعه الطالب الخاص الذي يتأثر به حمة العلم
الصحيح ، ذلك لانه لم يمت بالجواهر ولم يمتدح وان يمتدح وان
ينوص على الحقائق والمبادئ ، فيخرج من هذا بعم ناقص يكون
وبالا عليه وعلى غيره ايضاً فيعتقد انه قد علم وانه قد احاطت بما لم
يحيط به غيره ، ولهذا فهو يحتفظ ولا يخرج الا بشئ ، ويباهي
الناس به ويحفل من معلوماته وسيلة لتفريز جهه او مركز ، فيحقر
من دورته ويحسد من فوقه ، وقد نسي ان هذا ليس من العلم في
شيء ، وان نتاج العلم الصحيح هو خلق روح العلم الصحيح من
تواضع الى شكران لذات الى اخلاص للحقيقة الى تقان في الحق
وتجيد له ، ان العلم الصحيح يقضي على الانسان ان يعمل على
تسره لان في ذلك اظهاراً للحقيقة واعلا لشأن الحق .

ان العلم الصحيح يقضي على الانسان ان لا يحقر من دورته
وان لا يحسد من فرقه وان لا يباري به السفا . او ان يميل به وجوه
الناس . قال عليه السلام : « من تعلم العلم لاربعة دخل النار :
ليباهي به العلماء او يباري به السفا . او يميل به وجوه الناس او
ياخذ به الامراء . »

ان العلم الذي لا يخاطب في صاحبه روحاً يحليه بأسمى الفضائل

عبد الملك بن مروان الاديب الناقد

بفلم عبد العزيز أحمد

رئيس قسم الماجم بجميع فؤاد الاول
ومدير كلية فؤاد الاول الشرقية ببيروت

كان عبد الملك احد هؤلاء . وواسطة عقدهم يا وهب من صفاء طبع ودقة حس وجليل تأديب وحسن ثقافة معروف كيف يستفيد من ادبه وثقافته ويستلها غير استغلال ، يرضى بذلك نزعه الفطرية وذوقه الفني ويحفظ بها على الدولة كرامتها وللخلافة هيئتها وجلالها ويرعى للعربية حقها ، يثني كل الحشية ان يرجع اليه نقد او يلاحظ عليه نقص ويحاسب نفسه حساباً دقيقاً بصوره اجابته لمن سألته : عجل اليك الشيب يا امير المؤمنين فيقول .. وكيف لا وانما اعرض عني على الناس كل جمعة .

وبلغ من شدة حرصه انه كان يغري الناس بتذوق الادب وتجرب الكرم . من ادته . ينتشر الفرصة وخلو البال . من شؤون السلطان لتفرغ الى نفسه بينهما بطرف الادب وجيد الحديث فجعل من قصره ندوة أدبية يجتمع فيها كل من راققت بضاعته الفنية فلا يجد لها نقاق الا غنمه . يقيم المآتب العامة يحضرها الناس من يعرف ومن لا يعرف .. فيتاح للقریب ان يرى قصر الخليفة ويهنا بزاده ، وان يمرض ما ادخره لسوق الادب هذه وكان هم الخليفة ان يتعرض ما عندهم من بضاعة ينقل على موائدهم متحدثاً سائلاً ، فيذكر ناز المناقشة والمناقشة بين الحاضرين بالبقية من سؤال ويعتبره من مسألة ، وكثيراً ما اختفوا في الجواب فكان قوله الفصل . واذا بهم قد افادوا ادباً غذى عقولهم صكبا استرؤوا طامعا يمتلك اجسامهم .

ومن لطيف ما يروى ان اعرابياً حضر مأدبة من هذه المآتب فانتكره الخادم واتهمه بأنه جاسوس فيجالد الاعرابي محاولاً دفع التهمة عنه ولكن الخادم اصر عليها ونص عليه زاده فلم يتقدم الا وقوف الخليفة يائذته وسؤاله الحضور عن معنى بيت من الشعر وقائله مغرباً لطيف بجازة . فاطمعت المكافأة الخادم واتيحت للاعرابي فرصة للانتقام ففكر بالخادم ولقنه جواباً خطأ .. ما سمع عبد الملك حتى اغرق في الضحك وسخر منه لسوء اجابته فاعتذر الخادم بمجذبة الاعرابي اياه ويرد الاعرابي فعلته بان الخادم

حديثنا عن زعيم من زعماء العروبة وعاد من هذاتهما عربي الاصل ، عربي البيئة ، عربي الشعور شديد التيرة على لفته مجد في اعلا شأنها ، ذلك هو عبد الملك بن مروان الخليفة الادوي ، لم يكن بالمستضعف او المدهان او المأفون كما قال من نفسه . صارع الحوادث فصرها ، واعترضته الصعاب فذلها ، لم شتات الامة وقد كادت الفرقة تهد كيانها وغفف من حدة العصبية وقد اوشكت ان تضعف بيناتها .

كان ذا رأي سديد وعقل حصيف وتدير حكيم وقدرة على تصريف الامور وبصر بالغة والادب قل ان يجتمع مثله . ولد بالمدينة في خلافة عيان (٢٣ او ٢٦) وقد ربي تربية عالية ونشأ نشأة دينية خالصة .. حفظ القرآن الكريم ووقف على اسراره وروى الحديث عن كثير من الصحابة فكان احد فقهاء المدينة المدعوين وشغل بالغة والادب شغلاً لازماً طول حياته . ثم وفي الخلافة فكان المصلح الماهر والسياسي المحنك والاديب الذي لا يبارى . حياة حافلة بجلال الاعمال ، اقتطعت من عمر الدولة الاموية زهاء عشرين عاماً ، عادت على الامة والادب بالخير الجزيل . وهذا هو موضوع حديثنا ، فلننا نعرض للسياسة واحداثها ، ولا ما بذل في سبيلها حتى تولد سلطانه واستقامت له الامور وانما نقصر كلامنا على مساله اساس الادب او مظهر من مظاهر الحرص على اعلا شأن الامة مصدر السيادة القومية ورمز العزة العربية .

ومن الحق ان عبد الملك لم يكن وحده الخليفة الذي عنى بالغة وادبها واهتم لاحياها ، ما كاد يندرس من تراثها بل هو احد ثلاثة كانوا اطول خلفاء تلك الدولة في الحكم وهم معاوية وعبد الملك وهشام ابنة فقد ولي كل منهم الخلافة نحواً من عشرين عاماً وكانت لهم مشاركة قوية في الادب وجهودهما استطاعوا في تشجيع الشعراء والادباء وحشمهم على العناية بالجمع والزوارة حتى راجت بضاعته ونفقت سرقه .

نقص عليه ان يتها بزداء امير المؤمنين ثم اجاب الخليفة الجواب الصحيح فتلقوا هو بالجائزة بعد ان اقترح عليه الا يدع مثل هذا ببابه فانه يشينه . هذا في مادته العامة اما في مجالسه الخاصة فقد كان المجال فيها اوسع والنشاط اعم ومناحي القول متشعبة فكانت مدرسة ادبية يتبارى كل بابا عنده من ذخائر الادب وطرائف اللغة ويتعلم من عبد الملك ما لم يكن له به علم .

وكان بعضها مجالس ثلاثية عامة والبعض مجالس سر خاصة يجتمع فيها بولده واهل بيته وخاصته يتكلم معهم للمذاكرة والدرس يجلس من الجميع مجلس المرشد المثقف يستنير قرائهم طورا ويتحسن محووظهم ويختبر بديتهم حيناً . وهو الى ذلك يحسن الاستماع لاحاديثهم حتى يملك عليه ذلك تفكيره ويصرفه الطريف منه عما بين يديه من طعام ولذا قال الشعبي : ربما حدثت امير المؤمنين وقد هيا لقلعة فيسكها بيده مقبلاً علي فاقول : اجرها يا امير المؤمنين فان الحديث من ورثها فيقول الحديث اشهى الي منها وما كان ذلك قصور بضاعته او ضيف مادته . فنهذه منها الوفير وقد عرف الشعبي له ذلك وقدره فقال : ما جالست احداً الا وجدت لي الفضل عليه الا عبد الملك بن مروان فاني ما ذاكرته حديثاً الا زادني فيه ولا شعراً الا زادني فيه ذلك كان شأنا ومبلغ علمه فلا عجب ان رأيتاه يتحدث بلسانه فيعجزهم ثم يتفضل عليهم بالجواب .

فحينما يسألهم اي المناديل اشرف ، فيقول القائل مناديل مصر كأنها غرقى البيض ويتجوى آخر . بل مناديل اليمن كأنها نور الربيع فيبعدون عن الغرض ويلتبسون الجواب فاذا بعبد الملك يذهب مذهبا آخر بعيداً عما فكروا فيه فهي عنده اعراف الخيل المتنازع زل عنها فرسانها للطعام والقرى ثم اعجلهم القتال فامتطلوها مسرعين ولم يكن لهم ما يسجون فيه ايديهم الا شعرها المتهدل على اعناقها ولذلك قال لثافي مناديل اخي بني سعد عبدة بن الطيب التي قال فيها .

لا تزلنا نصبتا ظل اخيئة وفار للقوم بالعلم المراجيل
ورد واشتر ما يوبه طايخه ما غير التل منه فوبه . أ كزل
ثقت فنا الى جرد مسومة اعرافين لا يذبنا مناديل

فعي اذا ليست مناديل الزينة ولا تلك التي يتهادى بها الحفا وبديع وشيا ولثافي هو معنى احمى وصودة شعرية اروع ، فقد اراد ان ينسج الى جمال التشبيه وحسن الوصف وما في الشعر من معنى كرم في لفظ كرم . كرم وشجاعة .

او زاه يجتهد بديتهم فيبال جماعة من حمارة وخواصه ايكهم يأتيه مجروف المعجم في بدنه وله علي ما يتنى فيقول احدهم انا لها يا امير المؤمنين ويبدأ بالسرد فيقول . انتف بطن ترقوة ثمر حتى ينتهي الى آخر حروف الهجاء فيتم بوجه ، يد ، ويجتز ذلك رجلاً آخر للقيام فيذكر على كل حرف من حروف الهجاء اسم ثلاثة اعضاء من جسم الانسان مبتدئاً بألف ، اذن اسنان بطن بصرير ، حتى يصل الى الياء فيقول بين يسار يا فوخ وينهض مسرعاً فيقبل الارض بين يدي امير المؤمنين فيقول اعطوه مائتي . وهو لا يصطلي في مجالسه الا اهل الادب بل كان يتجنب مجالسه غير الادباء فكان من جلسائه شعراء امثال عمر بن ابي ربيعة وجبل وكثير ، الذي احب الخليفة ان يكون من حمارة لولا اعتداده بدمامته ، الى جانب هؤلاء التزولين نرى جويراً والفردق والاعطل وعمران ابن حطان وعاءرا الشعبي وغير هؤلاء كثير من شعراء وادباء معروفين فضلا عن ادب فأحسن تأديبه من الجوابي .

وقد كان عبد الملك يمثل الاديب الحق الذي ملك ناحية البيان وعرفه . وازين الكلام فعمل لكل مقام مقالا فهو يجتري بالعلم الخاطئة والاشارة السريعة ويكتفي بالتلميح عن التصريح اما المستنفا الى فضيلة السامع او اغراء له بالتقدم من الادب والمناكرة فيه كما يجيد اختيار الشعر المناسب للمقام فيحسن استغلاله والاستناد به فيقع به اجماع موقع .

من ذلك انه حين هم بالخروج لحرب مصعب بن الزبير وقد لاذت به زوجته عائكة تسأله عدم الخروج وان يوجه الى مصعب من يكفيه امره فيقول هيأت اما سمعت قول الاول .
قوم اذا ما غزوا شدوا ما زرم دون النساء ولو بانت باطار
فتبكي ويبكي معها جواريا ، فيقول قاتل الله ابن ربيعة كأنه ينظر اليها حين يقول :

اذا ما اراد الفر ولم يكن مزمه حصان عليها عقد دريزنيا
فنه فلما لم تر الله عاقه بكت فبكي بما شجاءا فحيتها

ثم زرم عليها بالسكوت وخروج .

كذلك كانت له ابيات يتشبه بها في بذل النفس عند اللقاء .

ويعجب بها وهي قول شبيب بن العراء

دعاني حصن للفرار قسائي مواسن ان يني علي قاشتا
فقلت لحنن تح غلك انا يذود اللقن من حوضه ان قدما
تأخرت اسبقني الهابة فلم اجد نفسي حياة مثل ان انقدا
سيكتيك الطرف الا لست فارس اذا ريع تاذى بالجراد والحمى
اذا للرم لم ينش المكارة او شكت حبال الهوين باللقن ان تجدما

بل زاده قد اتخذ شعاراً اذا جلس مجلس القضاء بين الناس
يذكرنا بما زاده في المحاكم الان شعاراً للعدل ومنازل القاضي وهو
تلك الآية الكريمة « واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل »
انا اذا مالت دوني الهوى وانت السامع للسائل
واصطرع القوم بالبايع تقضي بحكم عادل فاضل
لا نجعل الباطل حقاً ولا نأخذ دون الحق بالباطل
نخاف ان تشبه احلامنا فنحمل الدهر مع الحامل
اكان عبد الملك مضطراً الى اعلان هذا الشعار . وهل كان
من المناسب ان يكون شعاراً .

الا انها التزعة الادبية قد سيطرت عليه فلم يستطع التحلل
منها حتى في ابعاد المجالس عن رواية الشر والاستشهاد به .

هذه مقالة الشعر عنده وبراعته في الاستشهاد به في المناسبات .
اما اكتشافه بالامعة الخاطفة واجترأوه بالاشارة المحيرة احياناً
فلا ادل عليها من انه كتب للحجاج مرة يقول « اما بعد فانت
كسالم والسلام . فلم يدرك ما هو ولم يفهم مغزاه فاطلق اوسل
يسأل المراد بهذه العبارة حتى اسعف بالجراب واذا به قول عبد الله
بن عمر وكان يذهب بولده سالم كل مذهب حتى لامة الناس فيه .
يؤمنوني في سالم والوهم وجلده بين الانف والجن سالم

فكان اشارة دقيقة رفيقة الى عطف الخليفة على الحجاج
والرضا عنه على الرغم مما يكيده له الخصوم كذلك زاده ، وقد
كتب اليه الحجاج يعظم امر قطري بن العيص ، يد عليه بحجة
محيرة ووصية لم يفهم منها شيئاً وتلك هي « اوصيك بما اوصى
به البكري زيدا »

يا لله من زبد هذا . ومن البكري . وما الوصية . هذا لغز
جديد حير ودفعه الى ان يبعث من ينادي في الناس بمكافأة من يوفق
الى حله فيظفر بالجائزة رجل من عاصمهم ويعرف الحجاج ان الخليفة
اذا عني رجلاً اسمه موسى بن جابر البكري اوصى ابن عمه
زيداً بوصية موضوعها اثاره الحرب ومن يكتوي بنارها اذا شئت
وينصحه ان لا يعرض نفسه لها الا اذا اكراه على ذلك حتى لا
يذهب ضحيتها احدوها وكانت الوصية هذه الايات .

اقول . لريد لا تغتر بظاهر بيرون الناي دون تلك او قتي
فان مضوا حرياً فاضها وان أبوا فشب وقود الحرب باخطب الحزب
فان غدت الحرب الفروس بناجيا فمرسة نار الحرب تلك او مثلي
فلا سمحاً الحجاج قال صدق امير المؤمنين عرضة نار الحرب مثله
وغيرها وغيرها كثير نكتفي منه بما تقدمنا .

اذا كان هذا ادبه وتلك تليجياته فان له من البثر الكفلات
الرائعة والحكم البالغة المنبئة عن جودة رأي واصالة فكر وحسن

بيان وادق الخيال (والامثلة على ذلك كثيرة) فمن ذلك ان الحجاج
كتب اليه ليخبره بقوة ابن الاشعث فما زاد على ان وقع
(بضمة قوى)

وهذه وصية لبني حشم فيها على التعاطف والاقدام والسير
بالناس وتوجيه موضع الضيعة والنفق عن السبي . يرجى منه
الخبر ما يتضح فيها رأيه في رجاله الذي اخلصوا له وسياسة بنييه
نحوهم فقال اوصيكم بتقوى الله فانها ازين حلية واحصن كنف ،
ليعتلف الكبير مشكم على الصغير وليعرف الصغير حق الكبير
وانظروا مسلمة فاصدروا عن رأيه فانه تائبكم الذي عنه تغفرون
ومجنكم الذي عنه ترمون واكرموا الحجاج فانه الذي وطأنكم
المنابر ودوخ البلاد واذل الاعداء ، وكونوا بني ام بردة لا تدب
بينكم العقارب وكونوا في الحرب احراراً فان القتال لا يقرب
ميتة وكونوا للمعروف مناراً فان المعروف يبقى اجره وذكره
واصنعوا معروفكم عند ذوي الاسباب فانهم اصون له واشكر
لما يؤتي اليهم منه وتمددوا ذنوب اهل الذنوب فان استغفروا فاقبلوا
وان عادوا فانتقموا . وهاك كتاباً يصور سياسة عبد الملك مع

رعيته وولائه بعث به الى الحجاج وقد كتب اليه في شأن عروة
بن الزبير وكان عادلاً على اليمن اتهمه الحجاج بأكل الاموال فلجأ
الى عبد الملك فامنه ولكن رأى الحجاج الايديته منه (فان الناس
عبد الصالح على الشبهة اشد استيافاً منهم على اللين) فرد عليه
عبد الملك : بسم الله الرحمن الرحيم ، اما بعد فان امير المؤمنين
راك مع ثقته بصيحتك غابطاً في السياسة خبط عشواء الليل ،
فان رأيتك الذي يسول لك ان الناس عبيد الصالح هو الذي اخرج
رجالاً العرب الى الوثوب عليك واذا اخبرجت العامة بعنفس السياسة
كان اوشك وثوباً عليك عند الفرصة ثم لا يكتفون الى ضلال
الداعي ولا هداة ، اذا رجوا بذلك ادراك التأمر منك ، وقد وايت
العراق بذلك ساسة ، وهم يرمضون احمى انوفاً واقرب من عبياء ،
الحالة وكانوا عليهم اصالح منهم عليك وللشدة ولالين اهولن ،
والاقراط في العفو افضل من الاقراط في العقوبة والسلام .

عرضنا طرفاً من ادب عبد الملك ولسنا جانباً من وفرة معصولة
وحسن اختياره قبل ندهش ان رأينا له ذوقاً ادبياً خاصاً يميز به
جيد القول من ضيقه ، وبصرا بواقع الكلام ووجدنا له نظرات
ثاقبة تغذ بها الى صميم القول فاذا نقد شراً عرف كيف يستخلص
جيده من رديته وخالصه من بهرجه وزائنه . واحسنا ان احكامه
الادبية تخضع لقائيس دقيقة تلحظها موسومة في ذهنه وان لم

في المثل الأول وإن يطيل عمود النسب في الثاني بذكر الآباء والجداد حتى آدم إن استطاع فهي ملاحظة دقيقة وتهكم لطيف .

وللقافية عنده حظ كبير من العناية فإذا كان لموسيقى الشعر مجالها وروعتها فإن التخت في القافية لا يليق . ولهذا لم يعجبه من ابن قيس الرقيات أيضاً قافية قصيدته التي يقول فيها :
إن الحوادث بالمدينة قد أوجعتني وفر عن مروية
وجبتني جب السقام ولم يترك ريشاً في مناسكية
فلاحظ عليه أنه غث في القافية وإن كانت معاني القصيدة قد أعجبت .

وقد أراد الشاعر أن يدافع عن رأيه — طبعاً — فقال : ما عدوت كتاب الله « ما أغنى عني ما لي ، هلك عني سلطانتي » وما لا شك فيه أنه لم يحسن الاحتذاء ، فهناك تفاوت بين المذهبين وشتان بين هذه الفواصل القرآنية في نعتها وروحها وبين قافية ابن الرقيات . هذه بعض ملاحظاته الدقيقة على اللفظ والصياغة وهذا مذهبه في نقدها وتبليغها وهو كما ترى صادر عن فكرة واضحة وفهم دقيق وحسن مرهف .

واللهي كذلك اعتبارها فهي من مظاهر الحسن والجودة فهو يعرض لها بالنقد فيقول فيها خروجاً على الفوق أو ضعفاً يبعد بها عن الجلال على حدٍ ينبغي أن تكون صفات الحسن متقاربة يدعو بعضها بعضاً فإذا جمع جزأين نشد البيت المشهور :

هذا ابن ممي في دمشق خليفة لو شئت ساقمك إلى قبتنا
لا يرضى عنه ويقول ما زاد ابن المرافعة على أن جعلني شرملياً
أما والله لو قال : لو شاء ساقمك استقم اليه كما قال : كما ينفر من استهلال جرير أيضاً .

اتصوا هم فؤادك غير صاح عشية هم صبحك بالزواج
ويقول بل فؤادك أنت ، مع علمه بأن الشاعر يخاطب نفسه ولكنه استعمل هذه المواجهة .

ويقول يوماً جلسائه اعلموا أن الاحوص احب قولوه :
فا يرضه بات الظلم يمنا ويحبها بين الجناح وحوصله
باحسن منها يوم قالت تدللاً تبدل خليلي أنني متبدله

فا أعجبه وهي تقول هذه المقالة فهو يعيب عليه أن يصور دلال المحبوبة بقولها : « إبحث لك عن خليفة أخرى فاني « متبدلة بك غيرك » ويحبس أن في ذلك الدلال وهذه المداعبة حساناً كحسان الظلم وقد أحاط بشتها بالعناية والراعية في فعلها بين جناحه وحوصله .
وأية مداعبة هذه التي يتبع لها شتم مفروم وأنشد مرة قول نعيب :

تكن مسطورة على الورق ونستطيع أن نقدر أنه تصور قواعد
لأنه تصد عنها آراءه في الشعر والشعراء . ويمكن أن نرمس حدودها وتلمسها واضحة جلية فلا ترى عنده تلك الآراء الهمة والاحكام الغامضة التي جرت على السنة الأدباء والشعراء . من العصر الجاهلي ، إلى ذلك الوقت فنحن نعرف أن تقدمهم للشعر ورأيهم فيه لا يكاد يمدو قولهم أجل بيت كذا وأشعر العرب الذي يقول إلى غير ذلك من العبارات النمضة ولينة الانفعال السريع والتأثير العارض ولم يشذ عن هؤلاء إلا عمر بن الخطاب فقد كانت له نظرات وآراء في الشعر والشعراء . بين علة نقده ومواطن إعجابه . أما عبد الملك فقل إن يذهب مذهبه في النقد إلى النادر ولظروف خاصة .

ومقاييس جمال الشعر وجودته عنده تعتمد على تحليل صياغته ومعانيه ورجاله تحليلاً فيه عنى وفيه نظر متنوع وذوق فني دقيق . فيجب أن تنضج الألفاظ ويترعى بها مكانها ومناسبتها للعالم فلا تعجبه كالتوضيع في غير موضعها أو استعمال ألفاظ غير شعرية كما يرتاح إلى الإكثار من ذكر أسماء الرجال أو الأماكن فلها موطن آخر غير الشعر .

ولهذا عاب على عبيد الله بن قيس الرقيات ورود كلمة البطن في شعره وقد أضيفت إلى اسم . ونشأت في قوله :

اسمع أمير المرتين لدمي وشانها
انتابن متنج البطح كديها وكهانها
وليفن عاشة التي فلتت ادومها

فلا يرتاح إلى كلمة البطن هذه فليس مكانها الشعر وفي ذكرها لبو الذوق ولما جعلها عند الكلام على القائل وفروعها مما يتصل بالإنسان . وإن كان الرواة بعد ذلك قد غيروا في النص . لا يقف عند هذه الملاحظة بل يستبدل بكلمة البطن كلمة « نسل » فهي بهذا المكان أجدر وأكرم كذلك لأنه يعيب على دريد بن الصمه الإكثار من ذكر الأسماء في الشعر حين يسمع قوله حزينا بسني بس جزاء موفرا بمنزل عبيد الله يوم الذئاب ولولا سواد الليل أدرك ركعتنا . بذى الزمت والليل جاض بن ناشب قتلتا ببدائه غير لدائه ذؤاب اساء بن زيد بن قادب ويقول كاد دريد ينسب ذؤاب أسماء إلى آدم ثم يحتم ملاحظته بهذه الأمانة اللطيفة : ليت الشمس كانت بقتيل قليل حتى يدركه .

الآثر في هذين المثلين دليلاً واضحاً على دقته في العناية باللفظ وحسن اختياره ، ولكل كلمة مع صاحبها مقام كما يقولون فهو كان الحديث عن القائل والانساب طاز إن يقول بطن عاشة

اهم بعده ما حبيت فان امت فواحرنا من ذاجيم بها يدي
فقال بعض من حضر اساء القول - يجوز لمن يبيع بها بعده
فقال عبد الملك : فلو كنت قائلاً ما كنت تقول - فقال :
اهم بعده ما حبيت فان امت اوكل بعده من يبيع يسدي
فقال عبد الملك انت واه اسوأ قولاً توكل من يبيع بها بعدك
ثم قال الجيد ان يقول :
فلا صلحت دعد الذي خلة يدي

ثم هو يفرق بين معنى يعجبه منه ما يتصل بالصفات النفسية
والسمو الخلقى ولا يقع بالظواهر ولا يجتمع بالعرض عن الجوهر
ويغضب لقول ابن قيس الرقيات :

يانق التاج فوق مفرقة على جبين كأنه الذهب
ويقول له قدحني بالتاج كأنني من العجم وتقولني مدح صعب
انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجه الظلماء .

ثم يزيد الملاحظة ايضاً ويبين علة النقد فيقول : اعطيت
المدح بكشف العجم وجلال الظلم واعطيتني من المدح ما لا خير
فيه وهو اعتدال التاج فوق جبين الذي هو كالذهب في العفارة
ويذهب قدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر الى ان علة النقد
ووجه العتب من اجل ان هذا المادح عدل يدعي بعض الفضائل
النفسية التي هي العقل والهمة والعدل والشجاعة الى ما يليق باوصاف
الجسم في البهايم والزيئة .

بل نراه يعيب على الشعراء بعض تشبيهاتهم المبتذلة فيقول في
مجمع منهم يا معشر الشعراء تشبهونا بالاسد والخنزير والجبل الوعر
والملاح الاجاج الا فتم كما قال كعب الاشعر . ويروي ابياتاً من
الشعر تتصل بالصفات النفسية والخلق الكريم فيها صدق الماطفة
وصدق التصوير .

ونستطيع ان نرى امثلة مختلفة تصود نقده للعاني فيقال القول
فيها اوسع والحديث عنها كثير فهي من روح الشاعر وعقله وهي
صورة نفسية ووصف لشوره وكثيراً ما يكون على ذلك مأخذ .
بل لقد فطن عبد الملك الى فروق احق تتصل بالشعور والاحساس
هدها اليها ذوقه الفني وثقافته الادبية الواسعة . فالتفرقة بين شعر
وشعر قد يكون اساسها الماطفة الحادة . والاحساس الدقيق
وصدق الشعور . فن الشعر ما هو رقيق يسحر الاب ويعلق بالقلب
من غير استئذان . وهناك ماطفة صادقة توحي بمدح او فخر ،
واحاساس قوي بالجمال يلهم الابداع في التصوير فيكون ادوع
ما يتشكفه الناظم او يحاوله الشاعر .

ولهذا يعجب بشعر كثير زرقته وصدق عاطفته وهو عنده يسبق

السحر ويغلب الشعر وكان يخرجهم الى مؤذن ولده محتوماً يرويه
ايام ويردده . ويوافق من يذهب الى ان عمران بن حطان افضل من
غيره لانه يقول وهو صادق فيقول غيره وهم كاذبون وحين يسمع
ابياتاً لشاعر اسمه ابن بن خزم الاسدي في وصف النساء منها :
رأيت الفواني شيئاً عجيباً لو آتس مني الفواني الشباب
ولكن جمع الغدازي لسان عناء شديد اذا للـ شباب
ولو كنت بالمدح للفانيات وضاعت فوق الثياب ثيابا

يقول ما وصف احد النساء مثل صفتك ولا عرفن احد
كمعرفتك . فاذا سمع بعد هذا قول علقمة بن عبدة
فان تسألوني بالنساء فاني خير بادوا بالنساء طيب
يقول : قد لعمرى صدقها واحسنها

فافضل الشعر عنده اصدق ولا يعجبه ما كان عن رغبة او
رهبة فاذا سمع مدحا لاقتصر سر به وقال : هذا المدح لا على
طبع او فخر ، ويبلغ منه الاعجاب ملفه فيقول : واسمر
الناس الاقتصر

وميزان النقد عنده كما رأينا يتأثر بالشعور ويخضع لمعاني
المروءة والوفاء وكرم النفس والاعتدال بالكرامة وكل ما ينبي
عن سمات الرجولة . ولا يرضى عن شعر يشيع فيه خور النفس
وضعف المروءة ولو كان جميل التصوير يدع الخيال ، فعين يسمع
قول الشاعر لثاقته وهو يلح عروبة بن اوس
اذا بلقي ولحت رحلي عروبة فاشركي بدم الوتين
فيقول : بشت المكافاة حملت رحله وبلغته بغيته فجعل
مكافأها مخروها

كما يقول لمصر بن ابي ربيعة عندما سمع قوله :
أترك ليل ليس بيني وبينها سوى ليله اني اذا اصبر
بش الحب انت تركتها وبينك وبينها غدوة فيمتدح عمر
بقوله يا امير المؤمنين انها من غدوات سلاين غدوها شهر ورواحها
شهر . فيستهم عبد الملك ولا يقع باطراب .
فهو قد رأى في الاول مظهراً . من مظاهر عدم الاعتراف بالجميل
وسر المكافاة في الثاني خلواً من معنى اللوعة ولواعج الشوق التي
تقض مضاجع المحبين وتوقد ليالهم .

كما لا يرضى عن قول شاعر تغني في الاسلام :
فامنك الشباب ولست منه اذا سأتك لحيتك الحضايا
النح . . الايات . وبفضل عليه شاعرهم في الجاهلية لانه يقول :
والشيب ان يطر فان وراءه مرأى يكون خياله يتنس
لم يتنفس مني للشيب قاتسة ولما بقي مني الب واكيس
فلا ينبغي ان يصور الشعر خور النفس وضعف الجسم وليس

من الضروري ان يصحب تقسم السن وهن القوة فتزول القلب وصدق
الفرقة لا يضلها شي . وقد رأينا انه يفضل ما يثل الاعتراف بالنفس
او يشرع بالحلم ويحث عليه فتعجبه ايسات ممن بن اوس المزي
ويضلها على غيرها مما يحسه مرة في جلسته لما تضمنته من الماني
الكررة فانها هي رمز للحلم ومساندة المني . وصلة الرحم ولين
الجانب حتى يسلس له قياد النافر ويكبح جماح الشارد .
وهذه الايات هي :

وذي رحم قللت اخطار ضننه
على منته وهو ليس له علم
اذا ست وصل الثرابه ساني
قريباً تلك السفاعة والطام
ويبي اذا ابني ليدم مساهلي
وليس الذي بي كمن شأه القدم
يماول دعي ولا يماول غيره
وكلوت عني ادي على الريم
فأزلت في لين له وتطف
عليه كما ينثر على الولد الام
لاستل منه الضن حتى سلكه
وان كان ذا ضن يقيق له الحلم

وهكذا نرى فيها صورة نفسه ومروءة تنعكس عليها اخلاقه
ويوافق سياسته .

على انه لن ينسى ان اكل شي . جداً فلا يرضى ان يضع له
حق او ينال على ضيع ويؤن الامور ويواجهها بما تستحق من عناية
وينفذ فيها رايه القاطع ويضع لكل شي . جداً ولذا يطرب اذا
سمع قول الاشعي ربيعة .

وما انا في اري ولا في حصوني
بجتم عني ولا قانع عني
ولا مسلم مولاي عند جنابة
ولا خائب مولاي من شر ما احني
وان مواداً بين حبي عالم
با بصرت عيني وما سمعت اذني
وفضاتي في الشر والاب
القول على علم وارف من احني
فاصبحت اذ فعلت مروان وانه
على التام قد فضلت خير ابوابين

ويقول : من يولوي على هذا ويكافئه ، فقد عرف كيف
يصور عواطفه وشعوره ويوسم اخلاقه وتصرفاته . ويصعب المعنى
الذي يحيط بالمدح من جميع اطرافه فرداً او جماعة فيضله على
سواه فعندنا يسمع بيت زهير :

على سكرتهم رزق من يفرحهم
وحسد عليهم السحابة والبنل
يقول : ما ترك زهير غنياً ولا فقيراً الا وصفه ومدحه ولم
يخل مكثرأ او قلاً من ير وفضل وزاد وقد اغرى جبراً والاختلال
والفرزدق بالمال يقول كل اجود ما عنده في مدح نفسه ، بعض
كذلك المعنى الشامل . فعندنا يسمع قول الفرزدق :

انا الطمران والشراء جري
وفي الطمران للحرى شاة
وقول الاخطل :
فان تلك رقة زامة فاني
وتعقيب جري :
انا اللوت الذي اتي عليكم
ليس لحارب مني غيا

يكافي . جبراً ويقول : لسوي ان الموت يأتي على كل شي .
فهو معجب بالمنى الاخير لانه ادق واحمل . وهو ميل الى المناظرة
بين الشعراء . وبين فنون خاصة . من الشعر يجرى دألاً على المعنى
الكريم فهو في كرمه كمنصر الانسان كرمأ يسأل عن اكرم
بيت وصف به رجل قومه في الحرب فيعجبه تصوير كعب بن
مالك . فشجاعة والاقدام بقوله :

نصل لليوف اذا قمرن يظنونا
قدماً ولعننا اذا لم تلحق
وهو كذلك حريص على ان يجمع كل فريق من الشعراء .
يتنازول بذهب شعري خاص وفن معين فقرأه مثلاً وقد اجتمع
بجلسته عمر بن ابي ربيعة وجميل كثير يسألهم انشاد ارق ما قالوا
في التواني فينشد جميل

حلفت بيتاً ما بيتة صادفها
فان كنت فيها كاذباً فذبت
اذا كان جلد غير جلدك سني
وباشرتي دون الشار شرت
ولو ان راقى اللوت يرقى جنازتي
بخطبها في الاطرب حيث

ويستمع لكثير وهو يقول :
ياي وامي انت من مقلوبة
لو ان عزة خاضت شمس الضحى
طعن الدود لها فغير حالها
في الحسن هند موفق لاني لها
حل لايك حدودهن نالها
نجم يصي الى بحر وهو ينشد :

يا رب قبري يوم تمس بيتي
تلك التي بين عينيك والتم
وبت طوري كان عريك كله
وليت حنوتي من شاكشوا قدم
الا ليت ام الفضل كانت قريتي
هنا او هنا في جنبه او جهن

فيقول حاجبه : أعط كل واحد منهم الفين وصاحب جهم
شرة آلاف .

وليس من شك في ان لكل شمر طرفاً من الرقة والجمال
ولكنه لاحظ في الاخير الى جانب ذلك معنى آخر هو الوفاء . وما
بدا من حرص على الاختلاط الوثيق والاتصال الشديد والمصاحبة
الدائنة لوالي جهم .

هذه بعض المقاييس الادبية التي على اساسها كان عبد الملك
يفاضل بين الشعراء . وهي كما رأيت مستنبطة من ملاحظاته على
شعرهم ومستدل عليها بايون من شعر .

فهل كانت المقاييس الفنية وسدحها هي اساس الحكم بتفضيل
شاعر على آخر . وهل كانت مقاييسه لا تختلف . وهل يرى من
العصية . او لم تنطب عليه القزعة السياسية .

ليس من شك في ان هذه المقاييس الفنية كانت ذات اثر
قوي في آرائه وما صدر عنه من احكام ادبية . ولكنها لم تكن

كل شيء، ولعلها كانت تختلف أحياناً .

فله أحكام عامة كثيرة من سابقاته ومعاصره يحكمون بتفضيل شاعر لبيت تأثروا به أو معنى أعجبهم هي إلى التوضيح والألهاام أقرب .

كذلك كان للحصبة أثرها وللسياسة سلطانها فقبيلة تناصر أخليفة وأخرى تنكسر له فشاعر الأولي أثر لديه مقرب منه والآخر مضروب عليه مقصي عنه فهو يعيب بشار الأول ليكتب الخصوم ويغيب الأعداء . ويجزل له المكافأة ويؤثره بأكرم البطاء . ولنا نطيل بذكر الأمثلة والاستشهاد لذلك بأكثر من شاعر واحد ومثال واحد معروف لكل متأدب أما الشاعر فهو الأخطل الثعلبي وأما الشاهد فقصيدته المشهورة .

خف العطين فراوحناك ادبركروا
وازعجهن نوى في نأيا غير
لقد كانت هذه التصديقات من اقرب القاصد وأبلغها وكانت حملة شعوية سياسية على خصوم عبد الملك أخذ بها وطرب لها في حينها من قوة بلاغية وثورة سياسية وأعلم لأن الدولة وقسم لظهور خصومها حتى ان عبد الملك لما سمع منها .

شمس الدقائق حتى يستاد لهم
وأعظم الناس إحلاماً إذا قدروا
قال هذه الزمرة والله لو وضعت على حجر الجبل لاذبحوا
وكان يتناولون عند سماعهم قال .

ويحك يا أخطل تريد ان اكتب الى الإغريق انك لشاعر العرب .
ويقال ان مولى لعبد الملك خرج به على الناس وهو يقول . هذا شاعر امير المؤمنين هذا شاعر العرب .

فهل كان الأخطل يحق اشعر العرب . لا شك ان الاعجاب الشديد والتأثر البالغ : دفعه الى الاسراع بإعلان هذا الرأي ، والمصيبة للشاعر اذ كتبه وقوت من تأثيره . ولم يجل ذون إعلان هذا الرأي والجر به تعصب ديني ولكن هل ينتقص هذا من قدر عبد الملك أو يضع من قيمة آرائه في النقد ومذهبه فيه .

لا شك ان كل انسان يخضع للوثرات العارضة غير انها لا تصرفه غالباً عن الرأي السديد ولا تجده به عن الصواب .

وبعد فما نحن قد المنا بطرف من سيرة عبد الملك الادبية وادركنا مقدار عنايته باللغة والادب وعبرته عليها وعرفنا منهاجه في النقد ودقته فيه وتبنا مقاييسه واهدانا مفتي كان ذلك .

لقد عرفناه نحراً منتصف القرن الاول يوم كان النقد الادبي غير واضح المعالم ولا بين التبع او محدود الناية ولما عرفنا خواطر سريعة وآراء مبهمة عارضاها الطائفة والاستبداد المتأثر بطرووف طارئة وعوامل وقتية غير مستقرة .

فيكون بذلك قد سبق عصر النقد الادبي بأكثر من قرنين ومهد السبيل لمن بعده بزمن طويل فوسم لهم الاسس ودفهمم الى تجري الدقة في تدوين الملاحظات وضبط الاصول وتقييد القواعد . فاذا كان النقد قد ازدهر في القرن الرابع اي بعد مضي نحو ثلاثة قرون على عبد الملك فينبغي ان نذكر ان آرائه كانت دعامة قوية من دعائمه وكان له فضل السبق في الإشارة الى مذهبها .

وكذلك نرى لزماً علينا قبل ان نحكم هذا الحديث ان نقرر في ايجاز ونذكر في وضوح ان لعبد الملك فضلاً على العربية لا ينسى . وكان تعصبه لها وحرصه على ان تكون لها شخصيتها الواضحة وسلطانها القوي اثر فعال في سياسته العملية ولنهوض بالدولة العربية .

فهو اول خليفة صبغ الإدارة كلها بالصبغة العربية . فالدواوين نقلت من الرومية والفارسية الى العربية والتحرر الاقتصادي تم باستقلال العملة العربية عن الاجنبية فاصبحت النقود تضرب في البلاغة طابوعة بالسلابع العربي وما توشى به الشياح كتب باللغة العربية وكانت من قبل روميه وما ذلك الا حرصاً على ان تحتل العربية مكانتها الجديرة بها لعل ان اللغة من مقومات الدولة ومظاهرها من مظاهر عروها .

ذلك كان منذ ثلاثة عشر قرناً وما نحن اليوم لنسمع صدى جديداً وصوتاً يردد بالدعوة لمثل ما تم إنفاذه من اجبال طال عليها العهد . وكان من آثار ذلك ان اصدت مصر منذ عام قانوناً يفرض ان تكون التجهيزات الرسمية وحجاب المصارف والشركات باللغة العربية . وما هي لغتنا العزيزة تظفر في هذا العهد بمثل تلك العناية وذلك الحرص القديم بفضل ابدار الذكري الرأي اثر احبائها والنهوض بها في كيان الامم وسيادتها .

ولعل ذلك يغسر السبب الذي من اجله اخفنا هذه الناحية من ترويج عبد الملك موضوعاً لبعضنا مع ان الحديث عنه منشعب ومناقبه لا نجد وما تراه لا يحصيه العد .

غير اننا تركنا كل هذه وآثرنا ان نجزل الشطر الحي الحاسد ما بقي الدهر .

فبعد اللغة وعز الادب يفوق مجد الملك وعز السلطان .
ولاشك ان عروتنا في قتنا ومجندنا في اعزازها ورفعتنا في النهوض بها ، فذلك عنوان الكرامة ومظهر الشخصية القوية ورمز الوطنية السليمة الصادقة .

بيروت والبيرونيون في عصر ابراهيم باشا المصري

١٨٣٢ - ١٨٤١

بشم نخس طباره



الفصل الاول

موقع الدنبة - السور - الابواب

لانت بيروت في عصر ابراهيم باشا المصري مدينة صغيرة وادعة قائمة على منحدر يشكل جميع الاضلاع ويتمد من الجنوب الشمالي اي من باب الدركه (جنوباً) الى موفنها القديم (شمالاً) ومن باب السراي (شرقاً) الى باب ادريس (غرباً) وهي مسافة يبلغ طولها ٥٧٠ متراً ولا يزيد عرضها على ٣٧٠ متراً. وكانت كثيرها من مدن الشرق يحيطها من جهاتها الاربع سور مني بالحجارة الكبيرة جماعاً على مر الاجال من خطر الغارات الهمية والبحرية. وكان لبيروت ثمانية ابواب مفعجة بصفايح من الحديد وهي : باب الدباغة وباب السراي وباب ابي النصر وباب الدركه وباب يعقوب وباب ادريس وباب السطيه وباب السلسلة ويعلم السور ابراج متقاربة تقوم مقام الحصون لدفع المخربين منها عند هجومهم على المدينة .

وكان (باب الدباغة) في الشرق الشمالي من المدينة وهي بذلك لانه على خطى قليلة من سوق الدباغين وكان هذا السبب اكثر الابواب ازدحاماً بالسابلة يختاره القوافل التي تحمل المتاجر بين البر والبحر لقربه من الميناء محاذية اجتياز اسواق بيروت الحافلة ومنسطقاتها الملتوية . واتخذ يومئذ مركزاً رئيسياً لجلبية المكوس على البضائع الصادرة والواردة . اما (باب السراي) فقد اطلق عليه هذا الاسم لانه يجاذي سراي الحكومة نحو الشمال ثم يليه (باب ابي النصر) نسبة الى الشيخ محمد ابي النصر اليافعي ابن الشيخ عمر ابي النصر وكان من كبار الصالحين وهب له السلطان مبداء الحميد

قطعة الارض القائم عليها سوق ابي النصر الحالي وبني فيها داراً جميلة مؤلفة من طابقين كان اهل العلم يعقدون حلقات للدراسة في الطبقة الاولى منها واقام الشيخ محمد في الطبقة الثانية وتزل بها فيما بعد الامير عبد القادر الجزائري عند مسوره بيروت وكان ذلك سنة ١٨٥٣ .

هذا فيما يتعلق بسور المدينة من جهة الشرق اما من جهة الجنوب فكان هناك (باب الدركه) اتيق البناء عالي الاركان بني كد بالرخام الملون لوناً طابعية منقوشة باحسن صنعة ومجولة مسن أرجاء البلاد . وكان رطله مزداناً بكتابات قديمة وقد عد يومئذ اجل ابواب بيروت . وكان قائماً في موضع الراوية القريبة من شارع القني . اما (باب يعقوب) فقيل ان بانيه الجزائر والناس مختلفون في نسبته فبعضهم ينسبه الى طبيب من صيدا يدهى يعقوب ابيلاً كان يسكن داراً تلاصق جداره والبعض ينسبه الى يعقوب الكسرواني الذي كان يسكن داراً فوقه .

اما من جهة الغرب فقد كان (باب ادريس) وعلى مقربة منه (باب السطيه) وسبب تسمية هذا الباب بادريس ان رجلاً من اسرة ادريس كان يملك منزلاً يتصل به ويقع عند مفرد طرق تلك المحلة المعروفة الآن . وقد هدمته الشركة الفرنسية عندما عهد اليها بشق طريق الشام وتوسيع اسواق المدينة . وكان (باب السطيه) اصغر ابواب بيروت والى جانبه مقبرة السطيه فذلك سمي باب السطيه .

وكان (باب السلسلة) في الشمال وهو مبنى بين ريجين متقابلين قنئين على الصخور في . ودخل الميناء من بروج القنار و بروج السلسلة وعرف بهذا الاسم لان سلسلة حديد عظيمة كانت تعترض الميناء وكان عليها الحراس الامنا .

الحالية نحو الشمال وسُميت بسراي فخر الدين لأن الأمير فخر الدين المعني كان قد شاهدها في آخر القرن السادس عشر يوم جيل بيروت عاصمة لملكه . وقد وصفها يومنز سائح الإنكليزي بقوله : «وجدنا امام باب قصر الحكومة حوض ماء في وسطه فواره من الرغام المتفوس لم نجد احسن منها في المدن التركية . وهذا القصر اتسام عدة وكانت هناك اسطبلات خيل الامير ورياض الاسود وغيرها من الضواحي مما لا نظير له الا في قصور الملوك . واحسن ما وقعت عيناي عليه بستان فخر الدين وهو حديقة رجة قسمت الى ستة عشر قصفاً غرس فيها شجر البرتقال المثقلة غصونه بالشمس . وحول الاقسام ماش مشروسة بالصفايح الخيرية تتخلها مجاري الماء لسقي الحديقة وفي الجانب الشرقي منها عمران عاليان احدهما فوق الاخر لكل منها درج مؤلف من اثنتي عشرة درجة والمسمران يفيضان الى دحمة فيسبح يظلمها برج عرض جداره اثنا عشرة قدماً وطوله ستون قدماً وقد بناه الامير السراقبة » اه

اما في عصر ابراهيم باشا فالدهر كان قد اخسن على سراي فخر الدين واصبح مظهرها خراباً . وفي السراي مقر رجال الحكم وهم : القاضى والقاضي والمفتي والحاسب وضابط البلد او كما كان يسمى «مفتي البلد» . وكان القاضى يقوم على تدبير امور البلد وشؤونه ويشرف على كل الاعمال الادارية تآباً في ذلك عن ولي الامر في البلاد وقتئذ سلطته الى منتهى غابة الصنوبر في ظاهر البلد حتى نهر بيروت . وكان تقسم بيروت يومنز الأمير محمود ثامي بك جد سحر الداماد احمد ثامي بك وهو جركسي تعلم في مدارس اوربا العسكرية مع اعضاء اول بنة ارسلها محمد علي باشا الكبير الى هناك . وكان رحمه الله من خيار الرجال شهدت بسيرت في هذه كثير من ضروب الاصلاح والتحصين . منها : ان الناس كانوا قبل قدوم الحملة المصرية يتهاكمون الى القضاة . وكانت المحكمة تتداول شفاهاً وتسوى المشاكل بين المتخاصمين في جلسة او جلستين وحكم القاضي غير قابل للنقض يخضع احياناً في حدود معرفته للشرعية وغالباً لتقوى الفتى ويعتمد على الشهود وعلى ما استقر في رأسه من ذكاء وحكمة وما يراعيه من مصالح الناس اكثر من بنائه على المرافعات والمراجعات والاصول ويتبع بسطة لاحد لها ويطلب لنفسه المدح قارة والماللة قارة اخرى .

ومنا لتعدي القضاة في طغيانهم حدود السلطة التي خولهم اياها الشرع جل القلم محمود ثامي بك القضاء صبة مدنية فأقام

يعنون المراكب من الصبور الا ياذن منهم . وقد بنيت هذه الابواب ورمت في عصور مختلفة وتهدمت منذ حين واندس رحماً ولم يبق الا اسمها انما بقيت الى يومنا قنطرة باب يعقوب غربي شارع فخر الدين وما زالت المحلات التي كانت قائمة فيها الابواب تحمل اسماءها .

وكان كل عين من اعيان المحلة موطناً بأمر باب منها فيقوم بنقطة صباح معلق الى جانب الباب الخارجي بيده عشية النهار ويسد الباب ويدفع المفتاح الى متسلم البلد حتى الصباح وهكذا كل يوم . وكان حفاظ الابواب يبرزون شرقاً بذلك .

وكانت القوافل التي قد ليلاً على بيروت تضطر الى الانتظار خارج المدينة حتى يفتح الباب في الصباح . وكانت الاقامة في ظاهر بيروت خطراً . حدثني من اتى به ان اول اسرة اقامت في دار خارج السور على منهدر (اوتيل بسول) الحالي لتاحية التراب اسرة بسول وان اسم بسول مشتق من بسل اي شجاع ولما اطلق عليها هذا الاسم لهذا السبب . وهنا اذكر تادرة رواها لي بعض المبرين : فقد اجتمع ذات مرة (مجلس المشورة) في بيروت وتعرض اعضاءه في امر الجباية على ما يجليه التجار . وكان الصير في الجباية ظاهرة لبيت المال ، فنهض احد الاعضاء وقال : «لقد قدّر الدخل في هذا العام ٩٠٠٠٠ قالوا : ١٦٠٠٠٠ كسباً اي ثلثه ليرة واحدة ثمانية . قال : اذا كان دخل كل باب من ابواب المدينة مئة ليرة ذهبية في العام الواحد فافتحوا باباً تاسماً فيصبح الدخل تسعة ليرة . . . فضحك الاعضاء . . .

وحكي ان احد الاجانب وقد على بيروت وتزل ضيفاً على احد كبار التجار الموكول اليه امر باب السراي ونشأت بين البيروتي والقريب مودة ولما تم الاخير بالرحيل اسر الى مضيقه انه قاصد الى الباب العالي في الاساتنة فقال له البيروتي : ان كنت تنوي مقابلة صاحب الباب العالي فان في لديك حاجة . قال : وما هي . قال : ان تسمى لي لدى صاحب الباب العالي . . . باعاني من نفقة فتدبيل الزيت المضاء على هذا الباب . . . فضحك القريب بساطة الرجل . وما اخف ما كان هم رجال ذلك العصر فلو ان مثلهم عاش في عصرنا لما تردد عن طلب وزارة او قياية والله اعلم .

الفصل الثاني

سراي الحكومة - رجال الحكم - نظام الحراسة - المجلس - غرائب الاحكام وكانت سراي الحكومة يومنز قنطرة في اول سوق سرسق

(الطوائف) وكان هذا المذبح الادمي يحول في الاذقة وينزع في الناس الاموال والنواهي وسرعان ما كانت تذاع هذه فلا يمين العصر الا وقد ملأت جميع الاسواق .

وما يروى في هذا الصدد ويدل على ان العادة طيبة ثانية ان المسلم يلفه من من عادة اهل بيروت في حالة الغضب ان يسبوا الذين فاراد ان يقلع القوم عن هذه العادة الذميمة فعدوا بالطوائف وقال له : نادي بالناس ان من يسب الذين يغرم بدفع ربع مجيدي جزاء نقديا فانصرف الرجل وجعل يتنادي مكرراً في الاسواق : يا اهل بيروت الحاضر يعلمه اللاتب عن امر افندينا المسلم ممنوع سب الدين والذي يسب الدين يدفع ربع مجيدي جزاء نقدياً والذي لا يدفع افندينا المسلم يبحرق دين دينه . . . »

وكان التشهير من درجات العقاب فتشوه سجنه المحكوم عليه ويركبونه حماراً يلجمه من جهة ذيله ويجولون وجه الراكب اليه ويشي امامه الطبال والزام ويدار به في الاسواق معروضاً لسخرية الجمهور . ويذكر بعض اهل التاريخ ان هذه العقوبة كانت معروفة من قديم الزمان وقد ابطلت في العهد المصري وحكي ان بدياً لصحة من قسم بيروت لأول مرة في حياته ولما كان المساء اصابه الجوع فخرج الى الشارع ليأكله فراهي الناس يدخلون دكان شواء فياكلون ثم يخرجون ففكر في امرهم وظن دكان الشواء بيتاً لرجل كريم ومضيف كبير فدخل وأكل ولا قضى اربه من الطعام سأل عن صاحب البيت فيشكر له فضل ضيافته فذل على صاحب الدكان فطالبه بعدا يشن ما أكل فلم يفهم البدوي قصده لانه تعود ان يدفع ثمناً للضيافة فافتاحه الى القاضي فصعك عليه بالتشهير فارتكب حماراً على تلك الطريقة وانطلق الجند يطوفون به شوارع المدينة والناس يتبعونه ويصفقون ويتشاحكون ويهينا هو على تلك الحال عرض له بدوي من عشيرته فقال له : ما هذا المهرجان يا جنان فقال بلهجة البدوية ووجهه يطلع بالبشر وعينه تشعان بهريق التبعة : والله ياخوي لا اعرف بلداً اهله اطيب من اهل بيروت فان الغريب يعيش بينهم مكروماً ومنعماً يأكل (الحماش) ويشرب (الحماش) ويركب الجمال . . . ثم التفت الى الطبال وقال : دق يا طبال دق

شعب طبارة

(ديوان المشردة) واولاء حظاً كبيراً من عنائته ونشاطه وبذلك قضى على ذبوع الرشوة وشهادة الزور . وكان هذا الديوان مجلساً حسيباً بفضل في القضائين الجنائي والحقوقي وقد كان له فوق ذلك صلاحية المجلس البلدي يرأسه المسلم ويتألف من اثني عشرة عضواً : ستة من المسلمين وستة من النصارى . من المسلمين : عبد القاسم حماده وعمر بيهوم واحد العريس وحسن الجبير وامين رمضان واحد جلول . ومن النصارى : جبرائيل حمدي وبشاره نصرافه والياس منسى وناهيف مطر ويوسف عبوت وموسى بسترس مختارين جميعاً من اهل بيروت المتحلين باكرام المواهب والصفات .

وكان المحتسب خازن اموال الحكومة يدير الدخل والخروج واليه ترجع شؤون بيروت المالية . وكانت مرتبات الموظفين توزع عليهم من مال الولاية وما فضل يحمل الى صاحب السلطان . وكان المحتسب في العهد العثماني تركياً ثم استبدل في العهد المصري برجل من اهل بيروت وكانت الرسوم الجمركية والضرائب خاضعة كلها لمراقبته وتختلف باختلاف السنين .

وكان ضابط البلد رئيس الشرطة المهيمن على حفظ النظام ويتفقد امور الرعية ويعطوف على الدور والاسواق ويختلط بالناس ويرافق الحراس في دوراتهم الليلية وله ساطعة في ضرب اي مدب بلا محاكمة وذلك باخذ رذالة التي كان يهملها في روجيته وغدواته .

ومقر الضابط في الطابق الارضي من السراي وكانت قشة البلد في طرف سوق النورية الشرقي . وكان هناك مخفر (قراقرق) بباب الدركة وباب الدعانة وفي بعض الضواحي خارج السور . وكان ضابط البلد يقبض على المتهم بالسرقة او القتل وغير ذلك ويقوده للحاكمة امام (ديوان المشردة) وعندما يشكر المحكمة الموجهة اليه ولم يكن هناك دليل على الادانة يجلد حلاً على الاعتراف .

وكان في السراي حسان اعد جنس الامم للبر من كان على حالة مزرية يقام في السجنا . العقاب الالم ويدين معظمهم من هبات اهل الخير المحسنين وما يسعري النظر ان المدعي هو الذي يحسان يترتب عليه دفع نفقات المحاكمة سواء كان محكوماً له او محكوماً عليه . وما ان البلاد كانت خالية من الصحافة والامية متمشية في سواد الامة فقد كان مناد يثر على الناس اوامر الحكومة ويسمى

ذكرى البحيرة

علم الياس ابو سبحة

لغة

وخمسة وعشرين سنة ونلت على ضفة بحيرة بوردج ،
في مصيف اكس له بن ، أنثى قصيدة عرفتها القصة
الفرنسية منذ ستة قرون الى اليوم . وهذه القصيدة التي نقلها الى
النثر العربي اكثر من ثلاثين كاتباً ، الى الشعر العربي شعراء كثيرون
منهم شاعران من رجال النهضة في مستهل هذا القرن هما الاستاذ
شلي الملاط والدكتور نقولا فياض :

أعكدا نغضي دوماً أمانيها نطوي الحياة وليل اللوت بلوبنا
تجري بنا سفن الامهار ماضية بحر الوجود ولا للهي مرليبنا
بحيرة الحب حياك ليليا فلنكم كانت سباحك بالبحري نحيبتنا
قد كنت أزوجوختنا بالماء عينا واليوم للدر لايبري ثلاثينا

لهذه القصيدة قصة لا يمكن لمحدثها
على وجهها الصحيح قراءة قصة « فانييل »
التي كتبها لامرتين عن سيدة حبه جوليا
يوشو ونقلها الى اللسان العربي باقتضاب
المرحوم نجيب الحداد باسم « غصن البان »
ثم نقلها كاملة الاستاذ الزيات ، صاحب
« الرسالة المصرية » .

لما بلغ لامرتين السادسة والعشرين
من عمره كان لا يزال في حيرة من امره اذ
كان يعف عن ان يجذو حذو المتلقين
الذين استطاعوا بجنونهم وتسكهم ان
يصلوا الى المراكز التي طمحوا اليها وهم
دوكونه علماً وذاك . سوى ان الصدف لم
تلبث ان وفرت له ازمة عاطفية احاطه بين ليلة
وضحاها اسمى محل في جامعة الادب بفرنسا .

وكان اساس هذه الازمة قلب امرأة اجبت الشاعر المصور قصيرته
خالداً واحبا ففعلها . وهل في عرائس الشراء أخذ من « النير » ؟
كانت جوليا يوشو في الثانية والثلاثين حين اشار عليها الاطباء .
بان تصرف اشهر الصيف في قرية اكس له بن ، وكان لامرتين في
السادسة والعشرين حين اشار عليه الاطباء . بان يصرف أشهر الصيف
في هذه القرية . كانت هي مصابة بداء الصدر وكان هو ضعيفاً .
ففي احد الايام كان لامرتين يتنزه على ضفاف بحيرة بوردج فالتقى

زورقه زورقاً صغيراً فيه جوليا يوشو ، واذا بزوجة شديدة قلبت
الزورق الصغير وجعلت المرأة في خطر ، أترأها سقطت في الماء .
فأنقذها لامرتين أم تراه أدر كما قبل ان تسقط واعانها على ما بها ؟
كل ما يعرف عن هذا أن لامرتين كتب الى صديقه لوي ديفينيت
يقول انه انتقد مدام شارل من الفرق وان هذه المظرفة العذبة
أصبحت تلاً ايامه وتوشك ان تشفى من دائها .

وفي السادس والعشرين من كسرين الاول ١٨١٦ طوت جوليا
جناحها الملائكيين لتعود الى باريس فشيخا لامرتين الى ماكون ،
ورجع الى ميلاني ينتظر الرسالة الاولى التي وعدته بها . وكانت
قد أكدت له انها ستسهر عليه كما تسهر
الام على ولدها وانها ستساعده على إيجاد
« نصيب يليق به لما كان لزوجها العالم الشير
شارل من النفوذ في فرنسا » .

وبعد ايامة لائل جا . الشاعر الى باريس
ورقي ليلاً عديدة في دار جوليا ، كان كل
... . يذهب بها الى القرية فتنسكب على
ذراعها تحية صفراء ، وتسلم الى افكارها
الكثيرة . وكان المايرون يظنونها أختاً
وأختاً . على ان الفناء كان يقضم ذلك
الميكمل المزييل ، فلا تطلع الشمس الا
على جسد أخذت الليلة الماضية حصتها منه .
ولما اضطر لامرتين ان يعود الى اشغاله
تواعدا ببقاء . في « اكس » وأعطته دفترأ
صغيراً من الماروكيين الاحمر ليعلأه بايحيه

اليه فراقها . كان لامرتين أميناً على الوعد ، ففي الواحد والعشرين
من شهر آب صعد الى « اكس » لينتظر جوليا ، الا ان آماله ذهبت
ادراج الرياح . فقد اتصل به ان الحى تقتك بها فتسكتاً ذريعاً ولا
سبيل الى وصولها اليه . فهام على نفسه ، ونفسه حزينة حتى الموت .
وكان في القرية ، او في الدار التي يسكنها ، فتاة حسنة تدعى
الينورد كلونج تعرف اليها صدقة فلم يكتم عنها عذابه وبأسه ، ولم
يرفض رغبتها اليه في التنازع ساعة على ضفاف البحيرة .



الشاعر الفرنسي دة لامرتين

فاسترجع الى مخيلته « هاورز الجديدة » و « اتالا » . قال لامرتين في البحيرة : « ذات مساء ، أذكرين ؟ كنا نغوم بسكون ، ولم يكن يسمع في الإبعاد ، على الماء . وتحت السماء الا دوي الجفافين الضارين بايقاع امواجك الموسيقية . » وقال روسو قبل سنوات عديدة : « كنا صامتين صمتاً عميقاً وكان دوي الجفاف ذات الايقاع المتوازن يهيج في قلمي الرغبة في الاحلام . » وقال شاتوبريان في اتالا : « كانت اتالا تنشد فلا يقاطع شكوايتها الا دوي زورقنا على الماء . . »

وبعد يومين ترك لامرتين « اكس » ليطلق بصديقه له يدعى فيرير فينفر بين ذراعيه بقايا صمعه . وكان الداء يسير مسيرته في جسد جوليا التي انتقلت الى عالم عملاً بإشارة الطبيب . ولم يكن لامرتين يعلم ان الموت يتأهب ليشطف المرأة التي اوحت اليه قصائده الخالدة ، فكتب الى الانسة كانوننج يقول : « ان التي احبها فوق كل انسان في هذا العالم تتولى منذ أسابيع في ترع أليم . وأراني عاجزاً عن الوصول اليها » وفي الثالث عشر من كانون الاول فاضت روح جوليا بهل وسكون ، وشققتها لاصقتان بحليب صغير .

هذه قصة « البحيرة » التي خُشد بها لامرتين المرأة التي أخذت بيده في طويق الخلود . ولكن ... هل انتهت هذه القصة الغرامية بانتهاء حياة جوليا ؟ لا ، بل على تقويض ذلك ، فقد بدأت بموتها . فن جوليا شارل ، من المرأة الذئبية البصكية عمل لامرتين « الفير » اي عروس شعره . بل عمل منها أكثر من عروس شعر ، عمل منها امرأة الهية أوجب عبادتها على شراء عصره وعلى عصره . وأوجب احترامها على بيته ، وعلى امرائه ، وعلى ابنته باسمها ، وعاش حياته في ظل وحيا ، ومات وعلى شفتيه الصليب الصغير الذي كان على شفتيها في ساعة الموت .

اباس ابو بك

كان الصيغ يذيب عواطفه الذئبية على بحيرة « بورج » فاستلم لامرتين الى الذكريات ، وما هي الا هنية حتى شعر برعشة سرت في جميع مفاصله ، فاستأذن الانسة وانصرف عنها الى خلوة على الضفة الشالية من البحيرة . ولم تأذن الساعة السابعة من المساء حتى كان الشاعر افروغ ما في قلبه من الدموع . وكانه شعر بمصافاة تنطلق في صدره فاختلج هنيهة ، وغادرت عيناه في مجريها ، ثم تناول من جيبه الدفتر الصغير الذي اعطته اياه جوليا وكتب على الصفحة التي عرضت له هذه الكلمات :

« انا جالس على صفرة الضفة الشمالية افكر فيك يا جوليا . » ولكنه تذكر ان جوليا توت وان الكلمات الفاجعة لم يتلفظ بها بعد فكتب : « تذكر الايام الجميلة التي صرفناها معاً على ضفة البحيرة . » واطبق الدفتر وأخذ يحلم ، واذا بانعية تستفيق في قلبه ، ففتح الدفتر وتأمل هنية وكتب :

« ذات مساء أذكرين ؟ كنا نغوم بسكون على احضان امواجك اللطيفة ، خزانة سر وعلى دوي الجفافين الماديين يا بايع . » ثم تولف فضرب على البيت الثاني واستبدل به هذه الايات :

« ولم يكن يسمع في الإبعاد ، على الماء . ونحت السماء الا دوي الجفافين الضارين بايقاع امواجك الموسيقية . » ثم بدأ يطمع آخر :

« ان مركبة ملكة الليالي الموسيقية كانت تهب مسافة ، شواطئك الفراء . » وتوقف كأنه ليسك باعذاب فكرة اخرى اي ان يمدج في القصيدة اذينة جوليا فكتب :

« تابع متاع عمر الداجا الزود للشارد . »

ويظهر ان رفاقه في تلك القرية الصيفية فاجأوه في تلك الآونة ، فأخفى الدفتر في جيبه وعاد معهم . وفي اليوم التالي رجع الى البحيرة من غير ان يشعر به احد واكمل قصيدته الالهية : « العميرة »

كان لامرتين قد تشبع من قراءة روسو وشاتوبريان ،



مسألة بيرون الشاعر الانكليزي

بحث لجنه بوربانك

الخبير : روبرت موردي

ين

هذه هي المسألة البيرونية التي يدرسها الأستاذ بوربانك درساً وفق فيه الى حد بعيد .

الحق ان اللورد بيرون لم يكبد يحد قلوب الانكليز، مفتوحة له حتى وجدها مغلقة . ولعل الاصح ان نقول ان ابناء الطبقات الانكليزية العليا ما كانوا يمتثلون لبيرون وشعره حتى اداراله له ظلمهم وحاربه فقصى معظم حياته في خارج النكلترا .

ويحاول الأستاذ بوربانك ان يسل هذه المسألة بأسباب في شخصية بيرون ، وبسوامل وراثية وتربوية . فقد كان اللورد الشاعر احداً من ذئع الحايك بالحب ، وكان اقرب اقرباله على غير قسط كبير من الخط الاخلاقي ، اما امه فكانت امرأة ليست لها الكفاءة لشام على تربية ولد ولا سوا ولد كبيرون يضاف الى ذلك عناده واعتداده بنفسه .

وجاءت حادثة انفصال زوجته عنه ، ثممة لسلسلة الاسباب التي كان من شأنها ان توسع شقة التناوب بينه وبين الطبقات الانكليزية العليا المحافظة .

لقد تكشف الشاعر عن شذوذ غير مقبول في نظر الطبقات العليا في بلاده . ولو انه كان فرداً من افراد الشعب لما عذبوا به ، ولكنه عضو من الادرستوقراطية يخرج على « راسيها » ، وهذا مالا يجوز التساهل فيه (ان كان بيرون بمن يهيم تساهل احداً)

والاستاذ بوربانك ، في كل هذا ، على صواب . ولكن شيئاً آخر لا بد من قوله يوضح وهو ان الخلاف المراجعي الاخلاقي بين بيرون وافراد طبقته له ايضاً صفة التعارض الطبيعي بين الصراحة والتناق . ومهما يكن من قول في اللورد بيرون ، فلا ريب انه كان رجلاً صريحاً يرى لثه في ان يظهر على حقيقته ، ويكره المراءين والمتصنعين . وهذا هو عامل من العوامل الاساسية التي تجلب قلوب القراء الاجانب تهمة لثتوا اوتاره ونحس بجرارة لا تكاد نحسها

ايدينا محاضرة متممة بصحتها الناقد الادبي الانكليزي « جون بوربانك » المقيم حالياً في مدينة بوخارست على « الجمعية الانكليزية - الرومانية » في ٢٠ اذار سنة ١٩٤٠ .

والاستاذ جون بوربانك من اساتذة الادب الانكليزي المحدثين اليوم . تولى تدريس آداب لثه في طائفة من الكليات والجامعات في اميركا واليابان ورومانيا . وله كتب وابحاث ادبية معروفة في كبريات المجالات . ومن ابحاثه القيمة : « الادب الانكليزي والتقاليد الاجتماعية »

تتم محاضراته عن بيرون في اربعم وخمسين صفحة ، درل فيها ، واما « مسألة بيرون » .
فما هي هذه المسألة .

كان غوته الشاعر الالماني الكبير يزعم ان بيرون اكبر شاعر انكليزي . والحق ان بيرون هو الذي اخراج الادب الانكليزي من « جزيرة » ، فوصله ادباً اوروبياً في عصره ، والشعراء اللورد بيرون الذين اعجبوا بيرون وتأثروا به كثيرين جداً .

لقد كانت شهرة بيرون بعيدة المدى ، وكان عني اثره بالأسا مبلغاً عظيماً في انكلترا ، وفي القارة .

ولكن ما لبث ان وقع رد فعل كبير اذ قام الشاعر الانكليزي « سونجتن » ومعه طائفة كبيرة ينكرون على بيرون مآثره المقدمة . وتطاول الأستاذ « سينسهي » ، وهو من اعلام النقد الذين توفوا مؤخراً ، فأشك ينكر على بيرون الشعرية .

وما يلاحظ ان الشررة البيرونية قد تقلصت جداً حتى في القارة الاوربية .

فكيف اتفق ان شاعراً ملاً عصره وشغل الناس جمل شأنه يضر بتولي الايام .

في غيره من شعراء انكلترا .

والذي يُستنتج من كلام الاستاذ يوردانك : ان المتحابين على بيرون يستندون الى حجتين . اما الاولى فهي الحجة الاخلاقية التي تمسك بها ابنا الطبقات الانكليزية العليا . والمفهوم بالحجة الاخلاقية - طبياً - هو الوضع للتقاليد والمراسم (ولو تظاهرياً) وغني عن البيان ان الحكم على شاعر باعتباره مسلكه الاخلاقي شي . لا يبرز في النقد الادبي الصميمي . فليس يضير بيرون الشاعر ان زوجته وجدت طريقته لا تلائم طريقته فانصتت عنه . واما الحجة الاخرى التي تمسك بها جماعة « سوتن » فهي ان الموروث الشاعر اميل في نظمه الى النثر ، بل ربما ارتكب الاخطاء الغوية . ولا شك ان النقاد الذين لا يستطيعون الا ان يعترفوا بوجاهة هذه الحجة . فلم يكن بيرون من يحرصون على سمو التعبير الشعري وبمدائيل . وهو في منظوماته القصصية ناثراً او كائناتاً ، فكثير من الاعتراض والحشو ، وقد يسف اسفاً ظاهراً فلا يقبل ليتحاشاه بالاصلاح او بالخلف ، فضلاً عن انهم يتسكروا اي قالب شعري جديد . ولكننا مع هذا كله - يقول الاستاذ يوردانك - يجب ان

لا ننسى فضائل بيرون التي قد تكون هي « مابة » سهولته لا يكاد يدانيه فيها احد . واثنا المستمرة يخل الشعر بجمالية « مابة » اقل الذين استطاعوا - كما استطاع بيرون - ان يستلهموا الطبيعة ما في القاموس واسيع ما في حديث الناس ، فضلاً عن شعراء كشمه سائراً أحياناً رقيقاً ، وقد لا يعجبنا التعبير من تأملهم ، اذا نحن تأملناه فنفتش عما يمكن ان يقوم مقامه فنجزم .

وافد جرى ذكر سفره وتهكمه ، فلا بد من القول ان سلاح الذعر والقرص كان احد سلاحه الى الشاعر في حياته التي كانت حرباً وكفاحاً . والحق انه كان يدفع خصومه الى مثل الجنون برادة سفره وتهكمه ، وكان يزيدهم لذة وقرصاً كلما زادت اعصابهم توتراً . فانهزم - آخر الامر - بالفراع الروحي . فهو عندهم ليس الا رجلاً هستيرياً يضحك من كل شيء . ضحكاً حاداً ، وبيرون له شطوته الشهيرة التي يقول فيها : « احببنا لا تساوي رأس بطاطا »

والذي يذهب اليه الاستاذ يوردانك ان اتهام بيرون بالفراع الروحي ليس صحيحاً البتة . ولئن كان قد سفر وتهكم فسلئ اشياء معينة ، لا على كل شيء . وتكفينا برهاناً لهجة الجدد الصادق التي نجسها من « قاطبة التزلية » فلقد احب الموروث بيرون الجمال جاً ، واتشد انشاداً ، يتحدى كل متحاب ان يجد فيه نبرة

من نبوات البعث والاستغفار .

ثم لا يغرب عن بالنا ان الموروث الشاعر مات في ميسولوني وهو يقاتل الى جانب اليونان في سبيل تحررهم من السيطرة الاجنبية . ولا يجوز ان يتهم بالفراع الروحي انسان مات هذه الميتة المثالية وقال في الحرية شعراً من ادوع ما قيل فيها في العالم :

- ويرغم ذلك - اينها الحرية .

برغم ذلك ، ان تلك الموزق لا يزال يخفق وكأنه الصاعقة يتناهى الريح .

وهذا صوت يوقك ، وان يكن كسيافاً ثلاثياً فسلا يزال متناً على الصاعقة .

ان شعرك قد نفخت براعها ، وجذعك قد عطشه العاس فلا قيمة له كما يبدو .

ولكن الصير لا يزال يجري في السروق والبذرة عميقة موضع الغرس . وان رباً احسن لا بد ان يطلع ، وسمفترات اقل مرادة . واحتج - كما يقول الاستاذ يوردانك - ان قيمة بيرون قد

تضيق على مناسبتها اذا لم ينظر الى شخصيته من نواحيها المتعددة . فيرون - اولا - شبه يخلق على حوادث عصره واهل جيله . نظم هيلياقه شعراً حلو اللفظ يطليه شعر لاذع . وبيرون - ثانياً - كالمشاعر طالب الحرية ، والمحارب من اجل الحرية . وبيرون - ثالثاً - هو الشخصية المتعددة التي تقف بنفسها في وجه المجتمع ، وهو الشخصية القوية التي تفرض نفسها مسكروعة او

محبوبة بالها . من اتصال وثيق عميق بالحياة . ولكن اين نحن من مسألة بيرون التي تدور عليها المحاضرة ؟ كيف انتق ان شاعرألاً عصره وشغل الناس جعل شأنه يصغر بتوالي الايام ؟ يقول الاستاذ يوردانك : كان بيرون عبق الانتصار في حياة عصره واهل جيله . فجلهم هذا ينصرفون الى الاهتمام بـ « اكتر من الاجيال التالية » الا ان هناك سبباً آخر يلج اليه الاستاذ يوردانك ، وهو : ان الموروث بيرون دار بشعره على « الانسانيات » على الحاجيات والاماني والالام الشرية . وكان الشعر الذي تلاه في اوربا عصر انصراف الله الميكانيك شغل الناس على الغرض في انفسهم ، وواضع الرومانتيكية التي كان يمثلها الموروث الشاعر . على ان هذا الدور - دور طليان الميكانيك على القيم الانسانية بؤذن بانتهاء ، وسيمود بيرون الى احتلال المرتبة الثلاثة به شهرة وقصة ادبية . وسيل تأثير الذين استطاعوا مقاومة نفوذهم وتصغير شأنه لاسباب ليست محض فنية .

رؤف غورسي

الخيال الرواقي

عظم برهع عثمانه

يساسيه ناشير في الاداب من جامعة قواد الاول

يستطيع ان يحفظ أدق طيات الاقشة التي تلمب عليها ريشته ،
والشاعر يدخر احساسات بعيدة حمرة في الزمن ٠٠ وفي كل هذا
الحشد المنوع في ذاكرة كل من هؤلاء ، يحول الخيال فيبتار صورا
جديدة مبتكرة متناقة ، قوية الاثر في النفس ، ولكن ليس كل
انسان يستطيع ان يحيل ذنياه الخيالية اروع من دنياه الواقعية ،
فيكون خياله ابتكاريا مبتدأ ، بل قد يكون الخيال احيانا ،
يقظا شديد النشاط ، بهيم وبنيه في اجواء شاسعة ، لا يمسد من
نشاطه قوة عاقلة ، وعندئذ يقدم الخيال صورا غريبة منكورة ،
وتشبهات عارقة تنسج الى السفن الشديدة ٠٠ ولذلك كان اكثر
ما يعترى الانسان من هذه الصور في حاله ، فبى احوالا جميلة
وصورا مبتكرة النها خياله من تجاربه ، فاذا استيقظ واستبان
بقوته العاقلة على تمييز هذه الصور ، شر بعدها عن الواقع والمألوف .
كان في حله قائدا خطيرا يأمر فيطاع ، ويهجم فينتصر ، فسادا
هو في بقلته يستهزأ من كل هذه الحوارات وينتهد لبدها من الحقيقة
الغاسية ٠ وهذا طبيعي ، دالم الانسان يقعد الموازنة بين قواه
المنوية اقنا ، النوم ، فيسمل الخيال بحرية مطلقة في حين ان العقل
خامد نائم ٠ ومن هذا النوع من الخيال ، خيال الجنون ، يقدم
صورا شتى ، لا نناق فيها ولا تقارب ، كلمة من هنا ومعنى ٠
هناك ، وفنيلر للجمعية كمن الصور رهيبة متناثرة لا يربطها رابط ،
سوى التباين على الخيال الواهم ٠

وقد شغل بعض رجال الصوفية انفسهم بتفسير بعض العبارات
التي نطق بها كبارهم ، تلك العبارات التي تدعى « شطحات » ،
يؤولونها ويضربونها ، ويتكلفون في ذلك تكلفا شديدا يدفع
بعضه بعضا الى البطالن ٠٠ ولا يلك نفس الناطقين بهذه الشطحات
تفسيرها او فهمها ، لانها جرت على السنتهم في احوال خاصة عليهم
فيها الوجد ، والذعة الروحية الخالصة ، فانطلقت منهم مثل تلك
الشطحات التي هي اوسم من العلق ، فلا يستطيع ان يحيط بها
ولا ان يدركها ٠ ومنها حوال الصوفي المتدلل « الجنيد البغدادى »
ان يتكلف في تأويل شطحات « ابى يزيد البسطامي او الشبلي » ،
فانه لا يزال بعيدا عن ادراكها ادراكا صحيحا ، فهي كابت
غامضة ، والواضح منها غير مغول ، وهي كلها تخالف آراء ، كل
منها ، التي كالا يصرحان بها في احوال عادية طبيعية ٠ وما بعض
هذه الشطحات في الواقع الامن ثثرة الخيال الواهم يسند بالعقل
فينشله عن العمل ٠ واذا كان الخيال الواهم قد لعب دوره في النوم ،
او في حال غيبوبة فكرية ، فلماذا يسرح فوق قطم حديثة ؟ وما

قد يشفق القارى ، على بانس ما ، لا صلة له به ، ولم يعرفه
من قبل وانما عرضته عليه قصة رائدة ، وروث له
تفاصيل كتبية من حياة هذا البانس ، وعن الازمات التي اعترضته ،
ويبلغ التأثير والجزل من نفس القارى ، بلحا بعيدا ، فيفكر فيه
ويقاسمه همومه ويعيش حياته حينا ٠٠
وما اكثر ما قرأ هذا القارى ، نفسه في الصحف ان آلافا قد
هلكوا ضحية زلزال او سيول ، وما اكثر ما حملت محطلات
الاخامة اليه ان شربن التا قد ايدوا عن آخرهم في معركة حامية ،
فلم يزد ان قال : وآسفاه ٠٠ فلم تحس بهذه الكلفة الاشتداء ٠٠
فهذه القوة التي تصور الكارثة تصويرا ادبيا شديدا هي
« الخيال » ، الذي هو علة الكتاب ، والشاعر ، والخطيب ، او الفنان
مطلقا ، وهو عنصر اصيل ، من عناصر الادب ، مها تقاروت
حظ الادباء ٠ منه ، ومها اختلفت فروع الادب في اسمائها ، له ، لانه
خير اداة لتصوير الصائفة التي هي العنصر الاول للفن الجليل ٠
والخيال هو القادرة على استحضار الصور المختلفة في الزمن
بعد ان تنزع من الواقع المحسوس ، ثم التصرف بها تصرفا متنوع
الاضواء ، وهو يعين الاديب على ابراز الحقائق بوسائل مختلفة ،
ويقدم له قالبا يملك فيه ، وضوحا سبكاً قنيا ، ويساعده على
اضفاء ، ردا ، من الجمال على ما ينشئ ٠ فهو اذن لا يصدو الحقيقة
وانما يوضحها توضيحا قويا ، فيسبح النفس لما فيه من عرض جذاب
وقصص منسقة وتزوع بحسب ٠ ولولا الخيال وما يؤدي اليه من
آفاق واسعة واجواء ، جديدة لاضطر الفكر الانساني ان يتعثر في
سيده وان يدور في دائرة ضيقة وان يلتزم الواقع المتجبر ٠٠٠
واقول « الفكر الانساني » لان العلم نفسه لا غنى له عن الاعتماد
على الخيال ، فالعلم عندما يفرض الفروض المختلفة و يضع مقدمات
متصورة ، ليصل اخيرا الى نتائج النهائية ، فما يستعين بالخيال الذي
يخلق الفروض ويتصور المقدمات ، غير ان الخيال العلمي نتيجة دافع
عقلي محض ، في حين ان الخيال الادبي نتيجة الامزجة والمواطف ٠
ان ذاكرة رجل الفن مليئة بالتجارب الكثيرة ، فالموسيقي
لا ينسى اخف النغمت التي سمها في اوائل حياته ، والرسم

الحَيَال وإن يقدم شعراً رائعاً كما رأينا في شعر المتنبي وأما من غلبت عنده ناحية من هاتين ولم تكن المقاومة بين العقل والحَيَال طبيعية فأنهم قدموا لنا قصائد لفظية فيها كل شيء إلا الفن الأدبي . والصولي غني بمثل هذه القصائد . . فالظاهرة التي نلاحظها في بعض شعر القرن الرابع تعود الآن على لون آخر وفي رداء جديد يوافق عصر النور الذي نحن فيه . . ولا اعراض في كلامي هذا بعض الموض في الشعر فما لاشك فيه ان حالة الغموض التي تحيط ببعض الشعر تزيد النفس جأ له وولوعاً به ولكنه الغموض الذي يشف من ممان كبيرة ويوصل اخيراً الى جو مثير . . لا الغموض الذي يؤدي الى غموض آخر . . ثم الى فراغ . . وفراغ سيئ .

واساس هذا الحَيَال الروام الماطلة فاذا كانت عاطفة رجل الفن عاطفة سطحية عابرة فالصور الحَيالية الناشئة عنها تأتي باهتة قاترة ، واذا كانت عاطفة كلابية مزينة فصورها الحَيالية متشكفة مصطنعة بعيدة عن الواقع وبعض من يدركون الجمال ادراكاً قوياً سافحاً يشرون هذا القصور في الشعور بجهد من التشابه والاستعارات فالهلال الجليل الذي لا يوحى الى ابن نباته الا هذا القول :

كانت كحلل الورد في يده قوس على مسج الاعدا . .
او مثل كحلل الورد في يده قوس على مسج الاعدا . .
او زروق جاء فيه اليد متهدداً . . حيث الدج ككتاب البحر مسجود

فهو هلال لم يفته بهالة الى الشاعر ولم يحس به اساساً واضحاً يستطيع فيه ان يخرز بصورة واحدة قوية ولكن التردد بين صور متتابعة يدل دلالة اكيدة على ان الشاعر لم يخرز بمد بشعر معين فهلال اليد في يده قوس موزون او منجل متعطف او خنجر مشهور او زروق المتحد فيه اليد . . او غير ذلك مما ترى عينك من اشكال نصف الدائرة التي تشبه الهلال . . وليس ذلك الا نوعاً من التمرين الذهني ليعمر القساري بصور كثيرة . . فاذا كان الشاعر لم يعتمد على صورة ولم يطمئن الى معنى معين قلن يصل من ذلك شيء الى القاري . .

وبعرة الشور بالجمال بين صور متشعبة متنوعة هو نفس يماثره عندما تكثر شعوراً غامضاً غير مفهوم فهنا تضع ستاراً كثيفاً بين القاري وبين المعنى ليفرض معاني كثيرة . . وهناك تضع له المعاني المتنوعة كلها وفي كل ذلك لا ينتهي الحَيَال الادبي الى اصل عاطفي واحد ولا الى ادراك للجمال صادق صحيح .

بمسح عماره

بانه يتدني ثوب نزعاً جديدة في بعض الشعر العربي الحديث ؟ لا استطع ان اترجم بالشعر ولا ان اطرب له الا اذا احسست احساساً قوياً بنشوته ، وكيف احس بنشوته اذا لم يكن يثير في النفس حقائق واضحة ، ومعاني مينة ؟ اما ان اسمع كلمات عذبة حارة ، موسيقية النغم ، شروية الالوين ، فهي ليست اكثر من اصداء سطحية ، مبهمة تتقاذف النفس مع آخر صوت مسموع من هذه الكلمات . وما اكثر ما يعترضني - وانا اقرأ الشعر - ما يشبه هذه التاميرات : الجرح الاليع ، والرداء المحترق ، والصدى الناهل ، والرمدة الصغراء . . وبعثاً احاول تكوين معنى تدل عليه ، او على الاقل ، تكوين جو يدور هذا المعنى خلاله . . وقد تعدى هذا النوع من المجازات والاستعارات الى التكرار فقد قرأت مرة قطعة منوعة من الادب الحديث ، ففهمت كل شيء فيها ، غير ان العنوان وقف عثرة بيني وبين عقلي . . كان عنوان تلك القطعة « اللطلة البلهاء » كنت احس بما يريد الكاتب ان يقول ، ولكنني لا احس ان هذا العنوان يؤدي هذا المعنى او يثير جواً ملائماً للمعنى . وقد يستعين الكاتب بقواعد البلاغة فيدعي ان هذا التعبير مما يسمونه « المجاز العقلي » ولكنه لا يستطيع ابداً ان يطمئن الى ان هذا العنوان المجازي يميل الى القاري . . حتى جرداً واضحاً . . ولما اغرب من كل ذلك ان اقرأ تعبيراً مثل « اللطلة البلهاء » شمس الفضول ، فالخيال الروام هنا قد اعطى معنى مفهوماً ، ولكنه عجز عنه بعبارة واضحة متداخلة .

واخشي ان يأتي حين يضع فيه تجار الكلام المنظوم ، مجموعة مختلفة من الكلمات المتداولة في النظم على أوراق صغيرة ثم يثمر هذه الاوراق التي تحمل تلك الكلمات في صندوق ويختلط وهي تحمل كلمات مثل : مطاء ، طيف ، سراج اخضرار ، لعل هفا ، نفوات . . . وامثالها ، ثم تسحب واحدة تلو اخرى ، وترتب على غط متزن ، فاذا هي شعر رفيع ، واذا هي شعر رمزي ، واذا هي من الشعر الحديث المختق من سلطان العقل . . ومساكين القراء . . ولعل مما يؤلم هؤلاء المجددين على هذا النمط ، ان هذا الحَيَال الروام ليس بمجديد ، فقد فرض ساطعاه قديماً على أسنة بعض الكتاب اللغظيين في القرن الرابع الهجري ، عندما كانت مناسبة ابن جاد وابن العميد وغيرها في كتابهم ، متابة بالاذن حين تسمع وترقاً بالانفاس ، وتشككنا في التعبير ، ولم يسلم شعرا . القرن الرابع انفسهم من هذه الظاهرة ، فاما من كان منهم موهوباً من نحو ، وقوى العقل من نحو آخر استطاع ان يوفق بين قوة العقل وقوة

★ جوانيلين ★

تقسيم

هذه المسرحية الخفيفة - وهي ، أخوة - من قصة « الرجل الذي يضحك » لفيكتور هوغو - الى قسمين : البحر والدليل ، وبأمر الملك . وتبدأ حوادثها عام ١٦٦٠ في يورتلند بانكلترا ، وتنتهي في لندن عام ١٧٠٥ في عهد الملكة آن .

لم يسبق لفيكتور هوغو ان وصف المسخ البشري بمثل تلك السكرة البيانية التي اظهرها في قصته الفريدة هذه . جل هوغو لقصته التورية بطلاً ، سحراً ، ساحاً جوانيلين . وجوانيلين هو افطع ، من كازيودو - وكازيودو هو البطل المسخ لقصة « نوتردام دي باري » التي اخرجها هوغو في العام ١٨٣١ - اختلطت عصابة رهيبة من الماكردين الرجل الطفل جوانيلين فشقت فيه حتى الاذنين وجعلت من وجهه سحنة ، مضحكة ومخيفة ، مما بحيث يحل الى ، من يراه انه يضحك . على ان هذا المسخ المسكين لم يعدم روحاً تحبه في هذه الحياة وقاباً يعطف عليه وبساطه الآلام وسقامه . اما المرأة التي احبته فهي فتاة عيال تدعى « ديا » ، طاهرة نقية كسلاك السماء .

وينكشف لنا من ناحية اخرى ان جوانيلين هو ابن شرعي لرجل من اللوردات الجأ الى سويسرا ومات فيها . اذن فهو لورد بدوره . ولقد رأينا يدخل الى مجلس اللوردات فيقف بين الضحك والسخرية موقف المحامي عن البائسين والذي الموحي بالديقراطية الصحية ويرتفع بكلامه الى بلاغة ميراو فيصرخ قائلاً : « اننا رمز الشعب فالتعب هو اننا لان الشعب مسوخ . الكومبراشيكوس هو اسم لعصابة رحالة مخفية اشتهرت في القرن السابع عشر وجعلها التاسع عشر . وهذه العصابة كانت تمل الشاعة الشريرة القديمة ، وقد تكون نشأت في اسبانيا ، فكومبراشيكوس كلمة اسبانية ، زردجة ، ماهاه . « شتري الضمار » وكانت هذه العصابة تاجر بالاطال فنتشرهم وتبيهم . وهذا كانت تصنع بهم ؟ كانت تسفهم ليضحك الناس . كان الشعب بحاجة الى الضحك ، والمزك كذلك . ولم تكن هذه العصابة تكنني بسخ وجه الطفل بل كانت تنزع منه الذاكرة بطريقة فنية نجحها اليوم ، يعني الزان المدايات التي فاسها ساعة تشويه وجهه .

في العام ١٦٦٠ ، امر الملك غليوم الثالث بتطاردة هذه العصابة فهربت من انكلترا وابتكر بعض رجالها الى يورتلند في مساء يوم اشد فيه الجهد . وكان بين المساعدين لهم على اعداد المدن للهرب ولد في نحو العاشرة من عمه تركوه على الشاطئ . ولم يبالوا به .

بقي الولد واقفاً على الصخرة لا يتحرك ولا يستجيب . وبعد هنية شعر بهد قارس فاستاق من جوده واحد وبفكر فصحت مزيمته على السير في الظلمة ، ولم يكده بقطع مسافة من الطريق المشوذة بالتلوج حتى وقع نظره على آثار اقدام في الثلج وتبين له انها آثار اقدام امرأة لانها اصغر من قدم الرجل واكبر من قدم الطفل . وكانت التلوج تنهر بنزارة فابلشت الآثار ان انحوت . ولكنه واصل طريقه على غير هدى حتى خيل اليه انه يسمع صوتاً ضميراً يشبه الانين فجألاً نظره في الظلمة فلم يبصر شيئاً . وارتفع الانين من جديد وكان اوضح منه في المرة الاولى فخطا الولد بضع خطوات واذا به يقع على خيال يتنوج في الظلمة ، فذعر بادي ذي بد ، ولكنه عاد فتقدم وحده الى التلج فاضط نظره على جثة ، طامورة فيه فاخذ يحفر يديه حتى تكشف له التلج عن وجه امرأة شاحب ، الا ان الانين لم يكن صادراً عن هذه المرأة لانها كانت ميتة . وعاد الولد الى جرف الثلج ، وبرز عنق المرأة والقسم الاعلى من صدرها حتى رأى طمعة ترعد فرائضها من الجهد ، طفلة عارية مطروحة على صدر المرأة الباري ولما لاطفت الريح وجه الطمعة وهي في السنة الاول من عمرها اطلقت شققة عميقة . فحصل الولد الطفلة وبعد ان دافها بقماش رثة كانت معه واصل طريقه . وموت خمس عشرة سنة كان احد الفلاسفة قد حضن الولد والابنة خلافاً فداشاً في كنفه . وكان لهذا الفيلسوف الملقب بـ « اورسوس » اي « الاب » رفيق وحيد هو ذئب يدعى « هرو » اي « الرجل » اما الطفلة التي وجدت على صدر المرأة الميتة فاصبحت فتاة في السادسة عشرة ، شاحبة البشرة ، سمراء الشعر ، مخيفة البنية توشك ان ترتمش من الرقة والنجافة ، جميلة الوجه يلاً النور ، مقتلها افاليلة المشوذة التي اضلت المرأة فرمتها صريعة الثلج هي وابنتها انجذرت طميتين في آن واحد فادانت الام وامحت الابنة . وكان اورسوس قد سماها ديا اي « الالهة » اما الولد الذي اصبح رجلاً فكان يدعى جوانيلين .

ولو استطاع البوس البشري ان يتجسد لما اخذ لحه ودمه الا من جوانيلين وديا ، فكان كلاهما ولد في قبر رهيب ، جوانيلين في البشاعة وديا في الظلمة ، على انها كلاهما سيدين اذ كان كل منهما يحب الآخر . كان جوانيلين في نظر الشعب الذي كثرت رؤوسه فلم يبق

يفكر وفاض عدد امينه فلم يبق يصير رجلاً وحشياً فقطً ممتزجاً . اما في نظرياً فكان جميلاً ، كان الخالص الذي انقذ حياتنا من القهر كوالاخي الصديق والزوج المحب الخير ، ذلك ان ديا العيايا لم تكن بصر الا الروح . وكان جوانباين الذي سرقتة العصابة الرحالة وسمخت وجهه ابن الورد كلالشري احد عظاما ، انكثرتا ، فلياهرب العصابة حملت معها في زجاجة تذكرة نسيه الحقيتي مكتوبة بيد طيبها الذي تولى عليه السم ، ولكن الزجاجة سقطت في البحر فوجدتها على الشاطئ . احد الضباط الانكليزي وحملها الى الملكة فأمرت بان يرجع الى جوانباين لقبه واراضيه . في اليوم التالي لاكتشاف نسب جوانباين اجتمع مجلس اللوردات ليقرا اضافة مئة الف ليرة انكليزية كسنة كس الى مرتب الامير زوج الملكة ، وكان على كل لورد ان ينهي فيقول « قبل » أو « لا اقبل » . فلما جاء دور جوانباين وقف وقال : « لا اقبل » . فتحوالت جميع الرؤوس الى مصدر الصوت ، ولما انحلت الابين على ذلك الوجه المسوخ المضحك سمرت رعشة عريية في الصدور ، واذا بصوت احد اللوردات يرتفع صارخاً : « ما معنى هذا ؟ من ادخل الرجل الى هذا المجلس ؟ » ثم التفت الى جوانباين وقال : « من انت ؟ ومن اين جئت ؟ » فاجابه جوانباين بصوت هادئ : « من الامة »

الى قاهرية

مهداة الى كامل الشناوي

سكر البدر ليل ، اين « ايزيس »
وغنا ، الزمان في اذن الا
عصفت آهة بصدي فسيني
اين « ايزيس » هنا وقع خطو
تاجي ، فالليل حران صادي
هوام شجو مخضب بالنسادي
دمعة تمكب للندي من سواد
وجنة الحشد دونه حلم حادي

♦ ♦ ♦

يا مراح الاضواء باقت نجوم الليل
قربت سمرها المبرج للرؤيا
تسال الليل عن تلاقى حبيب
عن حدى قبلة برتها شفاء
وانا سامر حنيا ارقب اليسار
جاء في رجوعها ، فواليت حيلالات
قرب الفجر اين « ايزيس » لا عين
تعبت اضلع الفراغ وهمت
وعلى الضغتين تشكو الحيلالات
ردد الصمت بحمة من ضميري
يسكب الدفء في المروق فغضب
اقتات نغدو ليلاً سليماً
واستعمت في عينها الشمس « اين الليل قالت ايجي في السهاد
والمسر حفنة من رساد
تساوى في موكب الابداد
تقضى ، ولا صباحك هاد
ويجوت الشذى وتبكي « المادي »

♦ ♦ ♦

وجرى النيل متغلاً بلاء الاجيال
دنيا التواني الجياد

صلاح الاسبر

ان يشكو القفر وعنده هذا القتي او من يستطيع ان يدعي القتي اذا كان في حاجة اليها .

اما هو الماضي والحاضر وانا هو المستقبل ، هكذا يقول الشجرة ، لان كل اخضرار في الورق هو اخضرار امل ولا يكاد الجرم يخرج من الارض ويفتح صدره لليرة الاولى حتى تتحلى كالوليد في حضن امه ، واذا نجا وبلغ قامة الانسان اصبح كالثاب الضاحك في لعافه ودرقته ووثوبه ثم يأتي الربيع فيزهو والصيف فيسهر . ومن الشجر ما لا يعطيك ثراً فهو على حد قول الشاعر :

كم قاتل في ان عرسك عاقر لما غدوت متيباً بهواها
فأجبتك كم غارس من سروة لجليل قد لا يطيب جناها

• مايد الغاب ليست فقط للوحي والصلاة والتمتع بالراحة والهواء البقي بل هي مدرسة للانسان ومن فوق الماضي والحاضر والمستقبل تلقي الطبيعة علينا بواسطتها دروساً في الجبال والقوة وتعلمنا شرائطها الخالدة فالشجرة صرورة الحياة ، الحياة الكبرى العائمة المنبثقة في كل مكان . من الجذور الى الاوراق عقلت وعبرت تشنا ان لكل شي . قاعدة يقوم عليها نظامه وحمله وان من الاسباب ما يساعد على القوة والتناجح كما ان منها ما يؤدي الى الضعف والذبول وان الصبر لازم في كل امر حتى في بناء الشجر ونضج الثمر ، وان الانسان كالشجرة فيصحبها تحتاج هذه الى تربة ونور ورياح ونضج وتقلب فصول وحالات جوية يحتاج هو الى قلب وجد وان تحارب اوراق الائمة اشجيرة لزوم الاطار للشجر وانه الغائل :

قلب القتي لا يستوي ان تكن صائمه صافية كل حين

ومن الاشجار ما هو قدير العمر فصرح به طائر نمر ولا يخضع الوقت سدى فكأنه يقول ان قيمة الحياة ليس بطولها بل بنسبتها . كذلك نجد ان الزرع يسهو على الشجرة الغاية فلا يسمح لها ان تكون مثقلة بالثمر اثلا تصعب ، والمربي كالزارع عليه ان يسهو على الاولاد فلا يهدمهم بالمثل الاذا كثر الكثير سواء في عقولهم ام بدنههم .

ارأيت اية آفاق تتفتح للانسان • مايد الغاب ؟ ان حفظ الانسان • وتربط بالشجرة ارتباط الشجرة بالتراب ولهذا كان الاعتداء عليها اعتداء على ثروة الانسان وهذا لمايد الشجر والفن والصحة . في بعض البلدان ذات الغابات الكثيفة الواسعة يبلغ حب الشجر درجة العبادة ترى اشجاراً قديمة تخرها الزمان وجعل فيها اخاديد وحفرأ فيما حولها من الداخل بالطلاء والطابن حفظاً لما من التهدم والانكسار ويستمدون من كل من يد اليها يد الاذى . فاما ال انسان في لبنان يحملون قيمة غلاتهم ، فيشوهون بمساحن الوجود ويستهنون بنعمة الموجود ويحاربون الضرر لانفسهم من حيث لا يشعرون . في كل يوم يقع بصري على اطفال من الخشب المقطوع وهي حز • من حياة الجبل تذهب ولا يعوض عنها بزرع جديد . يا سبحان الله افكُتبت لهذا الجبل الخالدة هذا القناء ؟ فاداً بقينا على ما نحن عليه من خرق حرمة عبادته • يحيي الطل عن جبينه وفهب السحر من عيونته ولم يبق اثر الالهذاب على جعونه . ازرع ولا تقطع كلمة جميلة لاعداء الشجرة لا يجوز ان نمر بها في منطفقات الطرق ومداخل القنات ولا نوليا اعتداءً • ازرع ولا تقطع لان في ازرع ضمانا للمستقبل . ازرع ولا تقطع فالزرع جمال البلاد وثروة المباد وبركة الاولاد والاحفاد .

تقريباً

الذكريات جردوح

نظم البصرة ودار سلاحي



مجهول وأجل من دون علم الله ... ولولا الذكرى ما كاد المريب
ان يقول خذوني .. ولا كان المحرم خائفاً مما اقترب في ماضيه ،
فاذا انجلي الحظ منه ونظمت عنه الاقدار لم يدور عليه تاجر
الذكريات فيدعوه الى بيما بابئس الاثنان ؟ قلت هذا ونظرت
الى الناس فقيل الي اني ادى وراهم افواجا تبهم وظلالا تلتق
بهم ، انها الذكريات تنشي قدماً خلف اصحابها بل هي اتبع لهم
من ظلم لانها موصولة بخراطهم مندسة في طبائهم ، فيها نصب
لهم كسكوك او ابتهاج ونجوى ولذة وسلى ، ولو احصينا
نشدتها لآلأدب على السواء ، على ان اجل الذكر وانقاها وابقاها
على الايام هي ذكريات الطفولة ومطالع الشباب يا فيسا من فو
لعب وغرارة وغامرة وفرح وروح ، ومن الذكريات افاع تنسل
خلال المواجه الى النفوس فتلسعها وتقلب مسراتها وباهجها
كآبة ووجوماً ، وسكينتها ثورة وقلقاً ، مما يروى عن المحزون
المامري قيس ليلى ، سكونه الى كيسان الزمال وجلوسه على
ضفاف الابرار تحت ظلال الشبيل فاذا مرت به طليقة نافرة او وقفت
على عدوة منه فذالت نحوه جيداً اتلع ورننت اليه بينين سوداوين
كحليتين ذكوته ليلى فهب تائرأ خلفها ففاته نافرة فاذا هو في
منفذ الرمل غمى مطروح .

ولقد ذكريات ارواح ورياحين نفو اليها بلدة ولحفة ، فتعيل
اتراحنا فرحاً ، وعيوسنا ابتسامة ، ومن يدري فرب ذكري حارة
تطل بلحظها الساحر في غمة الموم والفراخ فتعجلي العمرات
وتتألق على الوجوه بشائر الرضى والسعادة كما جلت للحجاج
التقفي يرتد الى نفسه بعد غضب عاصف ويتبسم ضاحكاً اذ
مثل في الذكرى حياته الاولى حين كان مطلاً لصبيان الطائف
يطوف عليهم ويده عصا يقرع بها الجدار ارباباً للاولاد ثم يرد

غنى
موزار عبقري الملحنين انشودة الذكرى لالفريد
دو موسيه وهي اغنية مواجهة للشعور بمزوجة بالشجو
والرنين بكى فيها الشاعر ايامه اخالية وأعوامه الباهمة ، فكان
يخيل لموزار من سحر لحونه ان سحيق الغاب في متناوح اشجاره
وهدهد الليل في بعيد اغواره ينادي بشعره : اذكرني ... وتفتت
قصيدة الشاعر هذه طرفه للذكريات وطن الابد يرتد ويعترف
لايقاظ السلوان من جمود الصمت وسكون الموت ، قلت لنفسي ما
الذكرى الا حياة ثانية فلولاها لكان لنا غير الابد والاب غربة
على هون وسامة وعضي بنسا كيا شاماً للقدح ، فلا تحلى زلى
الجلديد فنزخذ بفتنته ونحس بالحديث فنلهو بطواقته ثم لاشي
بعدئذ يبقى منها في قرار نفوسنا ، ترى هل كانت تطيب لنا
حياة من غير ذكرى فلا احزان توردنا مواضيا ولا افراح نأسى
على ما فاتنا منها ؟ واصل العمر كان يخلو من كدر لولا الذكر ،
فالنسيان اذن من النعم كما يكون من النقم ، وما كان يقع
الكدر فيمكرو صفو حياتنا لولا تأثيره فينا وتذكرنا اياه ، فاذا
مر غير وسلوانه او نسيانه بننا هاتين متبطين ، صفحات قلوبنا
بيض لم تحط فيها الذكرى سطرأ اسود .

كان أبقي على خائنا واحلى لبيثنا واسعد لحظنا لو لم تكن
الذكرى منفضة مؤلمة ، لايشكر احد منا الى احد غدر صديق
او تشكر زمان ولا تلص امرأة على اختها قصصاً من فجاثها
ومواجها ، ولا ينطوي عزيز قوم ذل على الكتاب على مجد أقل فيرد
بالاحلام عهد التابر حين كان يتقلب على اعطاف النعمى والترف ،
ولا كان الشيرخ الضفاف او الشباب الاقوياء يعضهم الاسى على ما
مضى من سنين عايشا ايامها في خير او شر فان ذكرى مسا
دوى من اذاهير شباههم تحيرج ، وائل ايامهم وتندهم بمسقبل

الواقع الى عصا كانت في يده وقد هزها منذ حين في وجوه قوم
من اقرام الرجال العصابة في منازل الكوفة ، تلك ذكرى دعبا
طلوت بجاطره فحمد الله بعدها اذ صار امره الى طاعة ورفعة الى
مجد خالد وصيت بعيد .

ومن العجب اننا ندفن الذكريات في صميم صدورنا وكمين
اسرارنا ، فنحن احواء ، نحمل اموالاً ، وقد تلجد بعضها في اسفاط
وخزائن او ندرجها في الدروج ثم نتركها زمناً حتى تبث حية
تهزنا حيناً بالسرور وحيناً بالالم والمساءة ولعل فيها كتاباً او
صورة او هنة او اداة وتكون ارواحنا في هجمة الس وطرب
فتمتد ايدينا بفتة الى هذا الدرج او ذاك الصندوق نبحث في
الحفاة والباطنة عن حاجة نبتغيها فتمسك اناملنا بشيء منه يشير الى
ذكرى ولا يكاد البصر ينصب عليه حتى تجسمد العروق في
أفئتنا ويترعرع الدمع في اعيننا إذ أن في ما رأينا ذكريات
مضة منفضة هاجت منا المآثر والآلام فكانها التيت في
خواطرنا وتماثنا لتحفها ونحميها بها أكتنا ونمينها على البقاء ما
بقينا .

وبعد فليست كل الذكريات جروحة ولا هولا ، بل السخا
ما تكون بلسماً للجروح وفرجة للهموم ، وقد تندمل الذكري
الجارحة وتلتئم او لا تندمل ، وكيف رمت او النسب عليها
القطا ، فلا بد لها من ساحة او فضاء تنكزها وتكشف عنها فاذا
هي ما زالت دامية الية .

هكذا قدر للانسان ان يعيش مع امة من نفسه ، تمثل له
في آفاق حياته ألوان الظفر والسادة او ضروب الحية والشقاوة ،
وأى امرى . خلت حياته من ايام الماضي وتكاليفه ؟ كنسا
محتلون يحمل ايماننا القاتنة ، قلت او كثرت ، فليكن انسان
ذكرياتنا عمة وموطة تنفع حياتنا وتقوم بها ارواحنا ، وحسب
الانسان منها ان يخلو اليها حيناً بعد حين فيبطلها ويناجيها ويشكو
اهايته وحزنه فقد ينشأ بينه وبين ذكرياته صداقة تنسبه لزم
الاصداق ، بل ما احراه اذا كان من الادباء ان يكتب من
الذكر ما هو حري بالتدوين والتسجيل ، فخير الاداب الحديثة
ما اشتمل على ادب الذكريات ، هذا الادب الخالد بشعور

اصحابه ، الخافق بشؤونهم وشجونهم ، المبعوث بطرفة عين ويقلعة
فكر من اطباق الماضي المائذ البيا وكانتنا نعيش فيه ، فكم
من استغراق ذكرى خلعت علينا ما نضرتها من ثياب الاعمار
وما اكثر ما استجابات الذكريات لقرائع الشراء .

حين ترك ابو العلاء مرة النعمان وقد شد رحله الى طية
عراقية او شامية وقف به دليل ركه على تراب يسوفه ففكر
اذ ذاك المعري بامامة وهي مربة الوطن فهاج ذكرها في نفسه
ذلك التراب ولها كانت فيه دينة فقال :

ولقد ذكرت كيا امامة بعد ما

زُل الدليل الى التراب يسوفه

وقد عز على منيرة العبيد ان تحثبه الوقية وتدور فوقه
الاسنة فتنسبه بلة فقال عنها :

ولقد ذكرت ك والرماح نواهل

مني وبيض الصنح تقطر من دمي

فولدت القليل السيوف لانها

لغت كباق ثغرك . المتبسّم

ومن الشعراء من انتفض للذكرى فقال :

اذا ذكرت يحتاج قلبي لذكرها

كما انتفض المصفور بلله القطر

ومنهم القريب الدار المنقطع الاخبار القائل :

اذكرونا مثل ذكرانا لكم

رب ذكرى قربت من رُحنا

حتى اذا كان عهد شوقي يرجمه الله قال :

ثلث في الذكرى هواك وفي الكرى

والذكريات صدى السنين الخاكي

وداد سلاطيني — دوى

تحت اجنحة الليل الازرق

١

الحلم الناعم للتسليل بدأ يفرق حسي . .
وعنايا شعوب ذهبي يمر غلالاته على الرمال المغرارة .
ليس احب اليّ في هذه الساعة من ان اصعب هذه الانساقفة أناة لذيفة . . .
وان افرح بالي . . . الي الذي صار فيك فرحاً اكبر .
ان الحياة يا حبيبي ، لم خالق مرهم ، مفرح ، كأنها هو ينجر من قلب يكبر كل هذه
الغروب بحسنة الالم الذي يحمله . .
الحياة يا حبيبي زهرة عطرها فيك ، وسرها في اعماقك . . . ولكن سرطان ، يرول
هذا السر ، وتوفي تلك الزهور الحارّة ، ويحل رماد الذكرى يدل تلك للفتون السبا ، فذا
العين الباكية تسقط على بكاء الشيخوخة ، وحويل الحريف ، وعري الاماليد . . .

بنلم
نوري الراوي

٢

ان ذراعي لا يشان يشان لك ، ولذاها ان يحسا تنسّ من افاك الماطرة . .
ولا تنجلي ان رمي هذه الن من الزمار بسن على صدر من احسن . . .
وكذا تردى فيقبع من طوله الشككة اليانة الى بحر اشياء التي لا تنسى . .
أه يا حبيبي . . هذا الكأس الاحمر ، قد ربي عمه زهرات القزفل ، كأنها هي قتل طبعاً
من الزمان ووجك .
لقد امتلأ به فاطري ، ثم لم احس ادى الاله . . هي ذي انت يا طيف الالوان . . أنت
يا حبيبة ، وجسمك الصبر وضعيرتان تلوحان على كثيفك . . وسنة اودعنا امك على خدين
يلون الجناز وهمسة مارة تلوح بين شاطئين من جمال عينيك . . وهمسة صغيرة . . لا تنهدى
اخراج نغمة منية . .
فيها افراح حياة وآلامها . . .
هبة حب . . في ظلال حب لا خفاء وراه ولا ابل فيه .

٣

خية من غيوم الليل تذبذب في الكأس .
وأجل نغمة فيها تاتي في عيني . .
لك حي أيتها النخلة الثانية . .
لك حي أيتها البسة الطافية على شر الساء .
ها أنا مع الليل أنظر جدلك النخلة وهي تنطرب في ساراب التود . .
لكم يتنك بافتار قتي أيتها البسة الثانية ، يتنك وأنت لا تدرين . .
ثم أليت لك جوده السلال من أحناء الورد ، لترطب قلبا في خلال الصنواف الباكي
ولكنها تاهت بين هبات الشباب الرمادي الراقصة فوق النهر المحبوب . .
ولم تصل اليك . . فيبكيت على ظلول هذه الذكرى كلالهال . .



تاركاً في قرارة ظلمتها الحارة ترق شياحي الاول .
 ان ظلال البخل تند وتطول ..
 وجير اللية يترق مشاعري .
 واثت يا ذات اللندائر الحلم : لا تسدرين انك الان قرحين في قلب
 هذا الشاعر الغنون .

٧

اذا ما ناهت النين في سار الاطواق الرقء ..
 تاركة ثارات حادثة من مباحح اليها المستذب .. تترن في قرار
 اللية السكري .
 اذا ما تأودت الحان المصفاة في هذا الجر المستلق حلمه ،
 المستطاب سكونه .
 ودمت شياكها الى ذلك النهر الطروب .
 باحة يد لدخا الواجة من تأويه هاته الاثنان المتصصة .
 بثت كل عني وكل آكامي .. ودعاء قلبي ..
 تبعث هنك .

قد تكونين تحت ظلال سفة تنوس في صميم لية قراء .
 قد تكونين يا ذات النذيرتين المظنودتين من ليل الاندلس قد لوبه
 جبدك واسمت للرقاد جنيتك .
 وديا .. ديا اسيرك هذا الخيال المرح ، فأخذت نظنرين من خلال
 حروف احلامك السابعة الى ذلك الحبيب ..
 وهو بطريق لمن يذكر كراك ..

٨

هي ذي الائمة الفارفة يتناثر عليها بكاء الانير ..
 وتمتق فوقها سوايح النجوم .
 ان ظلا محسوماً من ظلالك يا فتني ير شعياً كاليليب .
 يحمل لذة كبرى من لذات عبيك ...
 ولكنه لا يتأتى ان يتلاشى كالليب في نافورة من البلور .
 ان حقا من الحياة كهذا الحبيب يا فتني ...
 يقن يمسك الر لاء ، فخير ...
 ويترول ككنفة من نجات النواير .
 كل شي ويسم الاله ولكنها بسمة ما اسرع ان تحي في تلك الاقواس
 البنفسجية المتلاشية في القلام الازرق ..
 كل شي يسم لي ...
 وكان شئور الاف الاطفال تتزوجني .
 آه .. هو حلم ما اسرع ان يحني ...
 كعجب نافورة من البلور .

نوري المرواني — بغداد

مع الصبغة المابعة ، مع نثار صفرها الزاجف .. في حنايا رديما
 الامر ..

سمعت قلبك الطفل يوثب ..
 لقد دسسته بين الاوراق الينة ، فروعك غاية شهده الالم وهو
 يصرغ في لجة من الطمر المفضض بالنور ..
 كانت ظلال الخوف العقولي تبدو على وجهك الساذج ، تنبدل
 كالاضواء الرقافة ..
 ثم تحني في نثار هذا المرح الكبير الذي يوج في دمك ..
 كنت تفرحين لانك اعطيت قلبك للرحل ..
 كنت تفرحين وتهاين ..
 ولكنك رعبت ان تحني الامل والام في ضجوة ريبك المبحون .
 آه يا صبرة .. لقد وجدت قلبك ولكنني اجد فيه قلب حواء .

٥

على ذكرك باصنية .
 على طلول ذاك الذكر الملقى .
 اسلمت مداسي ، واستطبت بكاء في سيلك يا ابنة حواء .
 لشد ما ترعيني هذه القنطرات الحارة .. عندما ترعيني قرار عيني .
 ان سيلها اللضي ، ليرشش دماي بعباته الباكية .
 فاشمر بثلل اهدائي وخفة حواشي .
 لقد فرغت الآن من تجرير هذا الكفن اللؤلؤي ..
 ودفنت اوجل مشاعري في حضن تلك الصفاة المطانية .
 ونحت حياذب اصفاها المرضى ، غرقت باحاسي ، فليس كل ما
 حولي من ضحك وبكاء .
 لقد غلقت وراشي العالم ، وهو ين وبفضض ويرجف ويضحك .
 لقد خلقت وراشي وقد اسفل اهدائك الطقة حلم « شجي » ميم .
 فتركت حي الموهوم يسبح في مسرى حير تلك النظرات .
 آه لك يا ابنة حواء .. لقد بشت من جديدي ظلمة قبر جديد .
 فوداعاً ..

٦

حيذا لو كنت بلربي الاله .. لشد ما يشوقني ان غشا هذه المراقب
 بصباح يليل غرد .
 لقد مللت سباح هذا النواح المتلعب تلفظه من اهل الائمة الهدية
 منافر البرم .
 لقد سامت حق نفسي .. فادرت ان اخرج عنها الى غير مأب .

مكاذبة النفس

بفلم سبيل ارميس

كان

للشاعر الفرنسي «بالو» فكرة خاصة به تتعلق بنظرية الابداع «L'originalite» فكان يتساءل : «ما هي الفكرة البديعة ؟» ويتلخص جوابه في «انها ليست هي الفكرة لم تخطر الا لثانها ، ولم تنجب الا لدهنه ، بل هي ، بالتقيض ، فكرة خطلت على بال الناس ، وانجبت لذهانهم جميعاً ، ولكن المبدع فيهم هو الذي تقدر له ان يجاها اول من يجاها . . . ولن يكون المصنوع جيداً ، والفكرة صالحة الا بقدر ما يجاها من اشياء . يفكر بها كل شخص ، ويديرها في ذهنه . . . ولعل هذه النظرية لم تسبح لبرالو الا لانه فطن انه عاجز عن الابتكار والاختلاق . وان هذا لعل حظ من الصحة كبير . ومن ادلة ذلك قوله صراحة عن نفسه : «وحق في التقليد ، اراي دوماً مبدعاً . . .» على ان هذا لا يعني ان تكون النظرية صادقة . وانها كذلك . فقد اجمع على صحتها كثير من الكتاب ، ممن ابتكر ابتكاراً ، او قلد تقليداً . . .

اما الاديب المسدع حقاً ، هو الذي يتهيأ له ان يحسر عن فكرة مكتونة تقود بها العقول ، ويكشف عن عاطفة تضمرها الحواش ، وتضطرم بها الافئدة ، غير انها تجنح عجزاً عنها عن إيجاد سبيل الى اظهارها .

وانا في الحق احب الكتاب او الشاعر ، يفكر فيكون تفكيره صدى لا يندفع من فكر ، اكثر من حيي للكتاب او الشاعر ، يفكر فيبتكر افكاراً لم احصها ، ولو انها اثرت في قليل او كثير ، واعجت بها الى حد من الحدود . . .

تلك مقدمة - واعلمها قد طالعت - سابقا بيت واحد لشاعر لا نعي كمال الادب به الدابة الكافية ، واعني به الشريف الرضي ، اما البيت فهو من تلك المعاني الخالدة الراسخة في النفس . . . فكرة بديعة لا يجاها الا من له هبة الكشف ، وميزة النفاذ :

وكاذب النفس يفتي الرجا . . . كما ان الرجا سكن للنفس ينطق

اقول انه معنى قد طبع في كل نفس ، وتعد كل قلب ، ولكن لم يتهيأ لكل عقل ان يتضح عنه . . . وهكذا كثيراً ما تكون المعاني التي تدرك بالحدس معاني صعبة الادراك بالعقل والقوي والتفكير . وتجوز ذلك البيت يتلخص في ان الرجا هو قسوام النفس ، وعلاوة الفؤاد ، به يعيشان ، ومنه يتسنان غير الحياة . . . ولولا ان الرجا يسبق كل عمل ويعقبه ، لتكشفت احلياء عن اليأس المطلق والاحسى البالغ . . . واذا ، فان اعالمنا منوعة اول ما تكون بالرجا ، والتأمل . ولا شك في اننا لولا توقفتنا للرجا . قبل ان نأتي عملاً ، لاجتمنا عن اي عمل ، ولا نصرنا عن كل اقدام ، لان النفس كما جبلت على التأمل والاستبصار ، حلت على التحرز من الاخفاق والحيلة . من العجز . . . والتخوف لا شك عامل قوي الاثر في عدم اقدام على الاعمال .

وهذه حقيقة تجاها النفس في كل حين ، وهي حقيقة صعب عليها تحملها ، لانها كفيلة ان تصد عن كل مراد ، وتعرف عن كل عاية ، فكيف للنفس ان تواجه 77

هنا موضع بيت الشريف الرضي . فان النفس لما كانت تخوف وتحرص ، وهي في الوقت نفسه راعية ان تبلغ هدفاً او تصل الى حجة فانها لا بد لها ان تكاذب وتراوع . وليس العاقل من يصدق نفسه ، ومن لا يكذب ضميره ، فيضغ للرجا . جداً ينهي عنه ، فلا يتعداه الى الامل الخلب ، بل هو بالتقيض من يكاذب نفسه ، ويجادع ضميره ، يستدل له الرجا . . .

ذلك ان من يقطع الرجا ، يصادفته نفسه ، يكون غير مؤمل من عمله اية ثمرة ، يكون قد اعتبر نفسه فاشلاً خائياً . ولقد اثبت حوادث الزمن ان ذلك العمل كثيراً ما ينكشف عن ثمرة مفيدة . ولو ان صاحبه كان قد تخافه عن ذهنه ، وقطع عنه كل فائدة . وفي تلك الحال ان يفيد اليأس من تلك الثمرة شيئاً ، بل لها تضره وتؤذبه اذ قد يكون عمل عمل آخر مخالفاً من حيث الفائدة لذلك العمل الاول وبقيته في ذلك التام سبيل آخر قد يفضي الى مراده . . .

واذن ، فما على المرء ان يكاذب نفسه ، ليستلها الرجا . ٧ -

وهنا نجيبه بسؤالك ، يدور زمناً طويلاً في خلدك : « راية فائدة في امتداد رجاء النفس ؟ » اذن ان ذلك هو لب الموضوع .
لا ريب في ان الذي يرتضي ان يكاذب نفسه ، فيبدلها في الرجا ، سيكون راضي النفس هادئ ، الضيق . وهنا الفائدة عظيمة جداً .
ذلك ان النفس يؤتمرها وبشرها ان تفكر فيما لا تحب التفكير فيه ، اعني في الذي تخشى او توقن انه عقبة في سبيل . مبتناها ، والا فهي
توقن انها عازمة عن اي عمل ، بحقيقة في كل شي . . . وان ايقن صاحبها هذا اليقين ، فانه يصدف حتماً عن الاعمال ، وينسكب - راضياً -
سبل الاقدام ، ويتراجع عما يخشى ان يقع فيه . وليس من شك ان في هذا التمداد الثقة ، واتقاء الايمان . . . وان الذي يفقد ثقته بنفسه ،
وايمانه بتقدرته ، يفقد من الحياة اسمي ما تهي ، يفقد الشخصية ، فيعيش في زاوية ، مظلمة من زوايا الجهل والحرمان . . . وفي ذلك كله ضرره
نفسه ، بل ضرر المجتمع الانساني قاطبة . .

ونحن نعلم الان ان ذلك راجع الى انه صادق بنفسه ، فحنى الرجا ، جانباً ، وصدف ان عمله لم يؤت ثمرة ، ففقد ثقته بنفسه ، ولم
يجتري . على آتيان اي عمل بعد . .

تلك حالة من يصادق نفسه ، فما حالة من يكاذبها ؟

اول ما يبدو لنا ان هذا الاخير ان يقدم على اي عمل قبل ان يترتب ويروني في امره ويقبله بحثاً ودرساً ، حتى اذا رجح لديه الطن انه
سينجح في هذا العمل ، رأيناه يقبل عليه بجوأة وايمان وثقة ، ويثبت بانتظار نتائجها ، يمد الرجا ، الواسع ، ويسمعه الامل المرضي . .
ولكن ان يترتب على ذلك ان يكون النجاح ، مؤكداً ، بل هو قد يخفق اغفاقاً كبيراً ، ولكن ذلك الاخفاق لن يضره في حال من
الاحوال عن الاعمال ، بل يحتم عليه ان يقدم غير وجل ، اذ دام الرجا ، بلا قلبه ايئناً بالجاح ، والامل يفيض في جوارحه ثقة منه بنفسه .
ولاشك في ان كون عمل هذا « المؤمل » قد احتيط له ودرس طويلاً ونمت ، يقوله اكثر ما يمكن من النجاح ويؤمن له سبيل بلوغ الغاية .
وهكذا يتضح ان من كان يصدق نفسه وصبره ، فيقطع لها الرجا ، يخشى ان يفتي في اعائه ، فيترابع عنها ، ويفقد قيتسته في
الحياة . بينما ترى من يكاذب نفسه وصبره فيبدلها في الرجا ، عظم الاقدام ، كثير الاعمال ، حسناً في الحياة وسعيداً .

٥

واورد قبل ان اتمم هذه الكلمة ان اروي قصة قصيرة وقعت لي بالذات ، اول ما عدت الشغل « الادب » فاذت اذكر اليوم الذي ارسات
فيه اول مقال ادبي لاحدى الصحف الادبية ، منذ بضع سنين . ومكثت انتظر صدور الصحيفة تنظراً ، يجماني الشرق والرجاء ، الى
اجواء عامرة بالا ، الى الخلابة . وصدرت الصحيفة ، فانتعها واحف الصدر ، راجف العواد . وقلبت الصفحة الاولى منها ، وسارعت
فقلبت الثانية كيلا ارى فهرست ، وذلك لادم لنفسي في الرجا ، ومكثت اقلها صفحة ازر صفحة ، حتى انتهيت الى آخرها ، ولم اجد
فيها مقالتي . . . فقلت في نفسي : « لاشك في ان المقال لم يصل ، فلا انتظر اسبوعاً آخر » وانتظرت اسبوعاً خسته دهرماً ، وصدر العدد التالي
فكان خالياً . . . اعني خالياً من مقالتي اقلت في نفسي : « لم يجد رئيس التحرير مكاناً يتسع له في هذا العدد ، فاني العدد القادم » وصدر
العدد التالي ، فرايت فيه كثيراً من الثالث (كذا) ولم اجد مقالتي . . . وصحت لحظة ، ثم قلت : الواقع هو ان المقال ضاع بالجهل !!
واطمأننت الى هذا كل الاطمئنان . وقاديت في مكاذبة نفسي ، ولم اجب على هذا السؤال « لماذا لم ينشر المقال » بحقيقته وهي
« لانه ليس جديراً بالنشر » . .

وطفقت ارسل المقال ثلث الاخر ، فارسلت اولاً وثانياً وثالثاً . . . الى ان نشر الرابع والشاهد هنا ، هو في اتني لو لم اكاذب نفسي
لاتقطع الرجا ، ولو انقطع الرجا ، اصدفت عن روض الادب . . . ولعل في ذلك خسارة لي . . . او . . . خسارة لروض الادب !!
فبنت الشريف الرضي حقيقة اولاً ، ونصيحة ثانياً . .

اما « انها حقيقة » فكذلك ليس وانما في نفسه ، ولما انها نصيحة ، فاطيانا اكبر شاهد على صدقها :
وكاذب النفس يجد الرجا لها ان الرجا يصدق النفس بنفسه

الى سومي

•

حنانك لا تكتمني
هواك ولا تلتهمني ،
فلي منك أمنية الجريح
من البلم ،
واغني - وما كنت قتلت
غير فتى ، طعم ،
شريد يحزن لاهاتيه
في افتر ، ظلم ،
ويجي على خاطر
عليل الرؤى مبهم ،
حنانك ، لا رحمة
اذا انت لم ترجمي ...
تعالني نفص المنهات
ملاي من القنم ،
ونجي نتي هي من قبل
لم نجين في موسم ،
نحناك لنا من خفيق فؤادي
ولون دمي ،

فذهب اسطورة
رواها فم عن فم .
تعالني نقتل دنيا ربيع
من الهمم ،
ونسج حلداً أشد روا ،
من الانجم ،
يبتلى بالخاود ، يبل
ساح القنم المنم .
تعالني ، فوهج الوفا .
يوج على مبسمي :
انا لك أحلى من البرح -
في مسمع المقوم ،
وأطهر من توبة الاثيم
من الماثم .
تعالني ، ولا تكتميني
هواك ، ولا تحجمني
فلن ارجعي رحمة ،
اذا انت لم ترجمي .

يوسف الخال

نوفمبر ١٩٨٠

المعبودة

بسم محمد حجاج حسين

ليسانسيه في الآداب من جامعة فؤاد الاول
واساتذ الادب العربي في التجيز وسهد الفرير باللاذقية

أعجبت وترددت كثيراً ، ثم اقدمت على سرد هذه القصة : خيال ، وهم ، حقيقة ، أي هوة تفصل بين هذا الاقنيم : الروح ، ألا تفرأقص في عوالم ، لا يحددها مكان ولا يمدوها زمان ، الاجيال السحيقة والقرون النابرة ، أليست لحظات أشرفت في صحو الحياة الجياشة ، ثم انطلقت كلعج البحر ، أمن، معقول ان الروح تذبل وتموت ؟ يا الهي كم يرعش الذعر في جسدي عندما تمر بي الذكرى ، التي لم يمتني منها ، غير الوجد ومض الآلام : لقد مرت ثلاث سنوات على هذه العاطفة التي نشبت في اعماقي ، وعانقت فؤادي ، وهي لا تزال دفاعة متجددة ، فالاحداث لم تحتتها بل زادتها احتداداً ، وأضفت عليها قبة من الجلال ، واشراقه من القداسة ...

كان ذلك في مدينتي الحالية بالجلال النهم ، طرطوس ، النافذة على شاطئ البحر الابيض المتوسط ، رابضة للاجيال ، مقهقة للدهور ، تضاحك الايام ، وكأنها ابتسامة الحب الطائفة ناسور : وانسقت حوادث قصتي هذه في خريف سنة ١٩٣٩ ، فني ليل من ليالي كثرين الثاني ، وقد ضحكتم نغموه في سمائه ، وشع القمر تياها عامراً ادبياً نساء ، أداسي أرق حاهد ، لم أصب به غصة عين ، تخدر اعصابي المتأججة ، وتنفذ نفسي من نفسي ، كنت في الثنية والمشرين من عري ، وكان الابد القت علي وقو الثاني ، فاليأس المربض احتني ، وشورت بتفاهة الحياة وفرواها ، وضقت بكل شي ... وعيت الموت ، الذي يخاضني من احوالي .

ما ابرع الماضي القريب اني حياه رائحة هذه التي كنت احباها في القاهرة ، ولأياها الزهرة ، وغرابها المتجددة ، أهد هذه الحياة النامية ، الموشة باقناتين الاله ، أعيش في هذه البلدة الضيقة الضيقة ، وذلك الطرب الذي كان يسبح في اعطالي ، جلالها ، في صباي ، قد تلاشي ، وزادت لي كفضمة جملة ، تريد حيائي وتولونها بالآسي ...

كانت اسنقي ، بعد ان نلت الليسانس ، الذهاب الى اورود ، لأتلي تجربة وحكمة من هذه الدنيا الفياحة ، وعمل خيالي في توشيته ، صورة ماجدة ، حياة بية ، في اورود ، بعد ان تحردت نفسي من كل الاوهام ، ونفضت عنها كل الاعساء ، لتزوي من قبض الذائد ، وشعر الحرب نيرانها الجمرية ، بعد فوزي بشادتي ، بثلاثة اشهر ، فأرغم على البقاء ، ونفسي ممزقة واحلاي مسخرة ...

وأصبحت اساتذاً للادب العربي ، ورحلت متدفعة بكلتي في عملي لانسي هواجسي ، ولكنكنا تيز وتزخر ، حتى تخيلني الى نضو خيال ، وايلم القاهرة تنفض حيائي ، وتؤذيني ، فأبرم بكل شي ، وتستبد في نقمة طائفة ، حتى على اهلي الذين كانوا السبب في وجودي ، فيعالي باردة لا تستحق الحياة ، وانا غريب بين قومي . وانسلت من البيت في الفريخ الاخر من الليل موطبت لجمال الليل الوحشي وشدهت للناس الذين يتامون ولا يستشعرون بياض هذا الليل ، الذي يريق القمر فيه ضوء الفاتر على المدينة ، فستسبح في بركة من نوره ، فالحياة قصيرة المدى ، أنتفضي قسما الاكبر في النوم ؟ وفي القاهرة تموت السهر ، فلم ير علي ليل ، استعطب فيه لنومة اكثر من اربع ساعات .

كانت السكينة ترفوف على المدينة لا نامة ولا حركة ، كأن الطبيعة حزينة مثلي . وقادنتي قدامي الى البحر الذي يقني اطارطوس اغنية الابد ، ويحضرها بانغامه البكر . ورحلت لدشي وتبدأ على الرمال ، والبحر هادي ، يرسل امواجه الشاجية ، علي الشاطي . المسحور ، وقد غدغدت أشعة القمر الريقة ، قلشم بحب ودلال . واستروح لهدمة القاهرة ، ونلت نفسي وافرحت فيها طائفة سرية عذبة . ورميت معطني على الرمال ، وجلست عليه واشلت سيجارة تعقد امامي سحجاً من الدخان ، وفجأة ، تراسي الى اخني ، انقسام

تألهة حلوة الوقع ، كانت الانعام الخالدة ، التي صحتنا لباقرة الموسيقين العالمين ، تموت ازراها ، فاستنمت خفتها متلذذاً ناعماً قوياً . وتمتني قلبي من الروح في صدي ، وارباب شر رأسي ، ومشت رعدات في معاصلي ، وكاد عقلي يشب من رأسي ، لهذه الفرقة النورانية

التي برقت واسعة في البحر ، فكأنني أرى غمامة نور تغرق على متن الأمواج ، بربرت واثقة ، وثقا اضطرابي عندما رأيت الغمامة تنفض على الشاطي . ويبدو منها شبح يتهاذى في شبة رفيعة عتجة ، لم ار مثلاً في وقها وجلالها وندواتها ، واوشكت ان أقذف صرخة من اعماقي الباعرة ، وما استطعت الى هذه سبيلاً . . . وشي الشبح ، يتجه صولي ، ولما في شبه غيبوبة ، حتى خاذلي ورععت عيني المذبذبتين ، فسادا بنور هجج يأخذهما وبصرت بنبادة مشيعة ، مرسلة الشعر على كتفيها العاريتين ، يتدلى حتى اقدها ، كانت عارية مجردة من كل لباس وجسمه البضاض كمثل من نور . جلست فباتت تجرد في بعبونها السكاوية العميدة القوار ، التي تجملت فيها كل معاني الاعراء والاعوا . وذهب الخوف عني بفض الشئ . وحاولت الكلام فتخرج على شفتي ولكنه لم يلدث ان انتحر . وان لذتي في الزوجة التي استجلبها من هذه الغادة الزواج ، لا يجدها وصف . ما اجل الدهر لو كنت عن الدوران ، لاعتق بين طيات هذا الصدر الذي يقفز فيه نهدان في قنبتها الفاقية ، ليكونا مشواي الاخير . . . ورجعت يدي بشدة ، عندما رفعت يدها النضرة ، اللألاء ، ومرتها على يدي ، فالتيران تضمرت في عروقي ، حتى استطعت الى وقيدوعزمت على تطويعها بذراعي المشتاقين ، ولكنني جدت لا استطيع حراكا ولا بسة ، ورفعت يدها النارية من يدي ، وكنت اتقي ان تنفد عليا حتى الابد لا يزحزحها الزمن بأذى المدفع .

وخفق صوتها في اذني كأنه جولة الريح وبسة الحوريف ، وشحوب المساء ، ولم تنضج كلماتها الى لاول فينة ، وما عم الامر ، حتى انجلي صرتها كحثة الناي في صمي . تجملت : يا ربتي عشاروت ، يا الهة الحطب والحب والبال ، يا ام العصور ، يا عذبة الاجيال ، وسائلة الالهة ، اما حان لروحي ان تقر في لقاة مرجوة مع حبسها . عشاروت ، يا دابة الدنيا ، ارحمني صالونا المذبة ، التي تنتظر ولادة حبسها ، لتفرقه الحب وتحفه بالطف ، وتديقه بجالها ، ديب الحطب المتباعدة . عشاروت ، يا حمية الاله ادونيس ، انت التي اضعت على سرير من الحس ، وضعت كلمه ، ارحمني صالونا وعجلي لقائها بحبسا عشاروت ، يا ظفر الطليمة ، يا ام الوجود ، عشاروت ، ربتي ارحمني . . . ولما آذنت بانسكوت ، طفر صدي بوجيف حد . ونبئت نحه صوب البحر لتفرق في طياته ، ولست ادري كيف جاءني شجاعة عارمة فصوربت اليها نظرات ضامرة وقلت : ايها المثلث لا تذهب . والتفتت الي عرو ، قد شئت عيناها بهريق فأت : لا افهم ، اذارتد ، انا صالونا الفينيقة ، وجلست على الرمال رشاقة ، وقد غلقت بعض ذراته على طهرها المسكب من النور ورفعت يدها حتى لامست جبهتي وسحبها بسرعة بعد ان مستني الثيران وعذمت . لست هو . فقال : ومن هو ؟ فأقاربت هيئة صائمة لاري الدموع النارية تلالاً وجها الاسبح ، وارسلت تهمة تلتها باهة ، رفقت كياني وفات : سأصفي لك ايها القريب مذبذبة نفسي وخبيثة خيمري ثلثي بلسغ القسوة التي رفقت علي طيلة القرون . لقد عشت في هذه البدة ، انترادوس ، منذ آلاف السنين ، يوم كانت تزهو بالفينيقيين القو ، ممسعي الشعوب المدنية ، وكنت من اسرة وافرة التي اثرت من التجارة ، تضرب في مناكب الارض ، لتعجيد فينيقيا ، ولما استوى عودي ، فتفتح قلبي على حب شاب رائع الجمال وعقد الموي نفسياتنا حتى استجلتنا الى روح واحدة . ما اجله ، اما ارق شمائله ، كم كان يتفقد اخلاصاً ويشرق عجة لي ، وطفلة نمد الالهة ، لبناء بيت جميل لمجمله وكرا لفرامنا وطيانتا المستقبل ، ولم ندر ما نحسى بنا الايام المكشورة وتراث الضجة في كل مكان تزدود على شواطئنا فتدعر لها ، ولكنها لا تتغافل ولا تستكين ، فان تحموس ملك مصر العظيم ، قد بشر اجزاء سوريا وفتحت عترة ، وها هو يد المدلة لاكتساح شواطئنا ، وتساوّر شباب فينيقيا في هذا الامر ، واعتدوا المقاومة حتى النهاية ، ليخضعون لتحموس ؟ ثم يقاومون حتى الموت وآثروا الفكرة الاخيرة ، على دفع فينيقيا بالدار . وكان حبسني ، اشد الناس حماسة وجهوتاً فاذا ما زرف الي في المساء ، يجذني بلهجة تصبي الحواس ، عن واجب الدفاع عن انترادوس وارواد ، كيلا تلوث افئتنا وتبقى عشاروت بعيدة عن كل دنس ، فكنت اشجعه وان كنت اشعر بخجل محقد ، وسيرمني طفلة السنية ، واكبرت شهامة وشجيمته بكل حراسي ، وسعد ان تكتشف الذمة عن انترادوس ، ويعود القاتع المنتصب القهقري ، ستهتفل في المبد زرواحنا .

وبعد مدة هل تحموس يجيئوه الجمرادة وعدده الزاخرة وهو اشد ما يكون ظمأ لبلع ارداد وانترادوس نمة هيئة لبنة . واكتسح انترادوس بعد مقاومة صاعقة ، سالت فيها الدماء ، مداراً واخذ المصريين قنصا الذي كان يملأ انترادوس ، وعباؤا ستة آلاف جرة من خورنا الشهية ونكنتنا لم نياش ولجاناً الى جزيرة ارداد بعد ان حططنا الجسر العتيد الذي اقناه ليهل بين المدينتين البحرية والبرية بموشدد تحموس الحصار علينا في ارداد وراح بذيقنا صنف العناب ويغن في ضربنا واثرعاجنا ، وكان حبسني يسير في مقدمة الجيش المسانف عن ارداد ، الصامد للماضي الدخيل ، وكلما رأى تخاذلا او برحاً من كد الحصار نفع في الفينيقيين من روحه الجبارة ما يوقد نريتهم ويجدد

قواهم ، حتى استعذبوا الشقاء ، ونموا به كحياء راضية فصلهم من الوضر . وترددت اعانيه الماتعة تتجاوب بها صخور فينيقيا ، وشجيرة
الفيثيين الصكية الذادة حتى لا يلينوا للعدو المتعصب . وشعر المصريون بجهوت الفيثيين وصرامة دفاعهم عن جزيرتهم ، فذب لوهنهم في
عروقهم ، ولكن ملكهم تحمق زار وزفر وصرخ : أنتج الدنيا واسود العالم بجيشي وتنف يوجهي شرذمة من الفيثيين يقتصدون
دوني في جزيرتهم . ساهدم ارواد وسادتها ، وتحمس جيشه الجرار ، فشد الحصار ورمنا بالوان الذباب وصوت جبي القائد يهدد مبعياً
بالفيثيين للصدور امام العدو النازي . فعشقوت تطلب اليهم بإلحاح صد عادية العدو لانه لم يبق لها مكاناً في فينيقيا بريئاً ، دنس الناتج
الا ارواد . عشقوت سباركنا وستمتعتنا الحب الدائم ولجئد المكين .

وظل الحصار ستة اشهر ، وتحمقوت يتعرق عيظاً ولما انتصر علينا ، بعد هذه المدة الطويلة ، نارت ، موجدته ، وهدم جزءاً كبيراً من
ارواد ، ووقع بنا مقتلة عظيمة ، وكان جبي ، والسفاه من الذين قتلوا . ولما تراءى الي الجهر ، صمكت ، وعرتني لونه ، وقنني شحوب
وهزال وعكفت علي اشجان ، وطلعت في الاماكن المخربة اندمها ، واخذت عليها عجلات حري ، وانا في جبي في كل مكان ، اذال
الموجة وأسأله الرحمة ، اموخ وجهي على الصخور النانقة ، اسألها عن جبي ، اجبر في احضان الليل اطلب منه ان يرق لحالي ويرسل
لي جبي ، وفي كل مكان كنت انشده ولا اجده ، ولكن صورته ظلت منطلبة في نفسي ، وترجعة في ذهني واحبته اكثر من قبل
اكبرت فيه تضحيته وفروسيته واعانيه ، عنت اشعاره ، بصوت طليعة ، وغدا ، بلغه الخزع وينفجر منه الالم . اراه في كل شي ، في شدة
الصخور ، وغنج السمك ، وفي السماء ، سادراً بين النجوم يبرزها فائن ما تجبت تعجب امامي صورة جبي وامتنت عن الطعام حتى ضوبت
بنفسي ، ورعبت في الموت ، ليجل اوبتي الي جبي ، شاعر فينيقيا وسيد شبابها ، وبطلها الخلاخل القادم .

وتقدم شباب انفرادوس يخطبون ودي ، ورايتهم طلحات سردا . في جبي فينيقيا الذي زهر زهره راتنة عجبي ، وتلست الغراء في
كل مكان ولكنه استحي علي ، فحسبي يجتالي وسكن في نفسي ، واصبحت ترسبة عذارى فينيقيا في اخلاصي وحي وسري امي ،
مشغوة بالجملة والاكسار وهست الشاه ، صالوا رمة فاحمة ، تعرف على رسل جبي : صالوا روح حائرة ترقص على حدث حبيبا ،
صالوا معذبة ، مدقعة ، تنوح على جبي : صالوا ، رهز حي للاعلاص والحب والميام . وهكذا تنال علي البنوت في كل مكان ،
وانا في اتون من الاحزان ، لا يقر لي قرار ، ولا تنف لي دمة . ولا تحبل لوعة ، وفي ليل غرس ، طلعتهم الظلة ، ولوت الريح ، كواندفع
المطر ثائرة مزججراً ، خرجت ، أقفش من جبي ، على الشاطئ . وللاي المطر ودفعت بوجهي العاصفة ، فذريته فزرت بها ، أبعد فقد جبي أغشى
النواذب النازلة ووصلت الى الشاطئ . بعد ان اصبحت مغمورة بالمال ، ولم اشعر بوحسارة جبي فقدت كل وحي . وترعنت في سيري ، على
الشاطئ . اتادي من تهواه نفسي وانشد اعاني باكية ، اندفعت من اعماقي وريح في الثوب ، فجلست على حضرة برمودة ، ارسل اقدامي
في المروج المصططب وفجأة كفت الساء . عن البكاء . وانقطع سيل المطر وهذأت العاصفة بعض الشيء . وخيل الي اني ارتع في جنة حادة
مع جبي اعازله واعاطيه كؤوس الهوى . وقتحت ذراعي كائي استقبله وهفت قبلتي في الهوى . بيقه ساخرأ منها . وتراى لي صورت
ناعم فيه جنة لاجعة فارفعت ادني وقتحت روحي وتجبلي الانعام شبة الوقع وتقرح سمعي فخلتني روح جبي تتاجبني وتستجيب ندائي
بعد عزوفها عني . وتترجم الانعام اغنية حلوه تشدها عدارى فينيقيا في هيكل عشقوت ام الوجود . وتلذذت اصالي والفرخ دومي
وغرقت في خدر لذيذ باسم وصحت امي يتردد فاضيت وكندت اقنع معشياً علي . كان الصوت يقول : صالونا اينها الفيثيين المرزاء ،
صالونا الوامقة التي افوهاها موت الحبيب ونلت . بني صرخة فاتكة في هذا الليل الابل . وتقترب الانقسام ترددات اشراقاً ووضوحاً
فتصعب العرق من جبيني وجلا والمث في جنة . وتدنو الانعام حتى تقع مباشرة في اخني عازقة يوله : صالونا ، اينها العدارا ، الفيثيين ،
لا تخشي شيئاً . تحمدي . ونفذني وصاتي انا الربة عشقوت ، ام الفصول وروح الاحياء . ومبدعة الوجود ، صالونا ، انا فلكك عشقوت
حبيبة ادونيس ، لا تخزعي ، صالونا ، يا عبقة شاطئ . فينيقيا كلكفي من غلوانك لقد تالني ما نالك من اسي وكنت مستطارة الحب ،
مخزونة الضمير كاسفة البال لقد جبي ادونيس الذي خضب دمه حاسده الذي كان يهواني ويريدني وانا اشد ما اكون عنه صدوقاً ،
واخيراً اتخذ شكل خنزير بري وقتله وملأ الارض بدمه الطليل الذكي ، صالونا اتندي في احزانك الهادة .

وافرك عيرتي لماتة مرثاة وسري رعدة في مغاصلي واحدت بالافق البعيد فتجاوب الظلة وتنسرح التمة لتسبح في رهبة ولاري
طيف عشقوت يزو الي مراراً ففرقت وكادت نفسي تطير شعاعاً وضجكت عينها الاثنيان فبدت ما ساورني من الخوف وقال طيف

الالهة : صالونا ان جمالك الرقراق اذوته الالام الدنفه وسحرك الفياض احرقته نار الالهة الشاذية فنجيك مات لاجلي ليقصي عني آلهة مصر فهو يرتع في سعادة بين احضان الابدية وسيدمت حياً بشبابه وجويته وبهائه وسراره الدنيا شعاعاً يضيئه له الحمد اكليله .. وعليك يا صالونا ان تصبحي سراعاً كاهنة في معدي لتظهر نفسك وتسمو روحك في عوالم الصحو والتوقد فاندحك البقاء الدائم .. لتلتقي بجبيك موة ثانية على الارض تتجاوز الحب وتتأحوا بالاذن ..

ودقت الربة عشقوت بجناحيها اللتين فعلت فوق النجوم تنبها سحائب من نور وتحما واكبت آلهة فينيقيا .. ولما اصبحت ثقلت في الليلة العائرة بجولة عشقوت فهرعت الى معبدنا التحت واحرق اجزاء نفسي امام عاتيقنا ازلت لما الاناريده واسمح على متن عبادتنا متحثة ليلي ونهاري ، ادلي بجشعر صانته اعلى روحني في روباها وفتحت الربة مغاليق نفسي فومت الاسرار ورأت المستقبل واجترحت العجائب ووجدت تسليمة وتلهمة عما يضطرم في قلبي من حب عنيف لطبي ولكن صودته كانت منطمة في رأسي افزع اليه كلها تضاعبت حوقة فيغي ، علي الراحة وبسكب البسم .. وانتظرت صخرة هادئة وعد الربة عشقوت لتنفذي من وساوسي وتطيري الى حيث حببي ينعم مخلقاً في اجواز الابدية .. قائلاً في البقاء السرمدة ..

وتجلت لي الربة عشقوت وسنتي مسأ رفيقاً يديها الواحدة وقالت بصوتها الالهي : صالونا ، تهيأي ، ستكوني روحاً رفافة هائلة على هذه الشيطان المباركة المضخة بانفاسي ، ستابعها ، وستقيم عبادتي في كل عظمة من عظام فينيقيا فيسيأتي وقت يجدها فيه ابنا ، فينيقيا ويكفروا بعبادتي وستظلم خالدة في طواحي الزمن لن يدابك الفناء وستضعفين الاغلال وستكون لك في كل قرن خرجة تجوبن بها شواطئ انترادوس تفتش عن جبيك الذي سيولد موة ثانية بلعنه ودهه في انترادوس .. وعندنا تستقرين معه في رعدة رهيبة وشمة بالحلب .. واصبحت روحاً هائلة على شواطئ فينيقيا اري كل شي ولا يراني احد ، واخرج الى الشاطئ كل قرن في مثل هذه الساعة الذي انحرق شوقاً لمرآه .. لقد روت علي اجيال مثقلة بالاعوام ولكن ما فيمتا باسلة اللاد ، الذي لا يمدد حد ولا يحصر امد ؟ ساترث ، وسأعد ربي عشقوت ، حتى اري حبي نتر روحني في وداعتها .. ومنت صالونا على الرمال السوداء باقدامها المنعومة وهي تسكب في نظراتها النفاذة .. وابتلهم الم الم الم الم .. واضعت سحابة المور ، وهيبت الطفلة وتدفع مطر خفيف قدمت والانفصالات لتلاصق في المواجس تجس برأسي وصالونا لا تزال عاقلة في .. سيطرة على اعطاني اتدذ بحلم القرب وحديثها الطامع ..

وخفق قلبي بضرب بشدة ، مولها من رواجي الهزيمة .. ودرت باشقاً لدواها ، يستبد في حواريها .. وسكنت في نفسي ورحمت ازرع الشواطئ في الليالي عساى اتقرها واستمتع بدونتها وماذا اخذت منها ، ذهبت بعد ان سيطرت على حواسي ولسنتي اترادتي ونفذت الى قلبي وبدأ علي شعوب ، وهزل جسدي واصبحت لا استطيع الانسلاخ عنها فهي تمثل لي في كل شي . وكثيراً ما اراها تضاهك بين النجوم فأنبت نظراتي ثم لا أنشب ان اراها تطير فأدب بحب اعنف من الاول .

يا الهي .. اقوى الحب الذي لمسكني ، ولوسط علي هزالي وغيبوتي وقال بعضهم : ان المشق يذبح قواه ، وعالوا وحلوا ، استطيع ان اقول لهم من احب ؟ وهل خلق لي ان احب غير صالونا ؟

وعشت سنة في طرطوس مع صالونا اهم بها وعبدت لاجلها عشقوت ، ففي كل صباح اقم صلاة خافتة الترقب على صالوناها .. فسمادتي ان نعد صالونا وتبدأ روحها في لقاء مع حبيبها ، ولتعجل الاجيال بولادته ولاجل صالونا ، احببت شواطئ فينيقيا وغضة عين وانتابها على سواحلها اللاروردية ، تبر كل ما في العالم من جليل ورائع .. واستنبت لحياتي متفدلاً ..

وكنت اذا سمعت بالبحث الفينيقي ، تشدد موجتي على دعائه ، واحتق على مروجي هذه الفكرة ، ويا لدعشتي عندما رأيت ذاتي تنحدر ، وتنفض ارجيتها المتوارثة المتأصلة لترتدي الثوب الفينيقي وبعدة وبجيزة كتبت روائي الكهري « شاملي - فينيقيا » وهي تروى على الارض بصفحة ، لتسجد فينيقيا ، وسدت الحضارة الفينيقي الى الوجود ، ولست ادري كيف كتبتها وكل ما اعلمه ان دنوات صالونا كانت المرشدة لي في عني ، فلجلها عبت عشقوت وكتبت « شاملي - فينيقيا » . يا الهي لقد مرت على هذه الحادثة اكثر من ثلاث سنوات ، ولكني لا ازال محباً مستهماً بصالونا .. وتطوف بخاطري في كل لحظة ، حتى استعالت الى جزء من كيبالي .. وسأصبر .. وسأصبر .. عساها ترتي لي ..

محمد حاج حبيب - اللاذقية

على ارباض الجاهلية

بنظم زكي الخالسي
استاذ التربية في تجهيز دمشق

وساحب الكبدل
بالرجل والوصل
مارحت بالجلجل
بالجسد منبل
ككواكب الليل

أهوى مباسها
يا جيش كيف لنا
يا جاهليتها
بل كنت في زمن
اطلعت اشعارا

سيري على الرمل

يا نالقي سيري !

لاشيء من ظلي
في فساح الرمل
منها بلا عذل
في غابر الامل
طير لها قل لي
يا نالقي سيري

جوزي على مائل
لا صوت اسمه
حب سيجي
اليد مرفعا
قل لي اذا عن



الى
مطامن البداء من دارات عس وبعد شمس فان كل المامة لك ، تفهني معنى من معاني اشعار العرب في الجاهلية ، وكل زودة
من زورااتك تملني الادب الجاهلي في مفااته فقلن كانت الصحراء ديار جذب ووادياً غير ذي زرع ، ما انبتت الا الشيع والقيصوم
ولانفتحت الا بانوار الذي ودعه الشاعر في مشية من عشيا نجد ، فان رملها المرمض وديسم الاصح وماها المندور قد اطلع ازاهير لايحورها
الزمان ، فواحة تقاحة ملائت بالقطر مدى الدهر ، نبتت في رياض الشعر والسجع وحلو الحديث والخبار وكان اهلها امراً القيس وطرفة
ونابضة ذبيان واكشم ورقاتهم ...
بعد العصر الجاهلي اقدم عصور الادب العربي . ولقد بعدت الشقة بينه وبين عصر التأليف الذي تفتحت ازاهيره في حواضر العرب

منذ المائة الثانية للهجرة . فأقبل الجماعون للأنخاب وجلة الرواة على البادية فمسلوها مصدراً للغة العرب وأديهم وتاريخهم . فقلوا أكثر هذا
الادب . من أفواه العرب اختص وطلوه اسقداً وطافوا به امصاراً وعقدوا له حلقات المساجد الجامعة وبيوت العلم ولم يفردوه عن الفقه
والتصنيف وحوادث التاريخ . الا طائفة منهم طبعوا على النظام العلمي وكانت لهم طرائق في البحث تفوقهم من الوحدة في الموضوع كأبي
الفرج الاصبهاني في كتابه الاعالي . ونحن أبناء العصر الحديث عندما نقبل على دراسة العصر الجاهلي زى القرون قد حانت بيننا وبينه
بنشأوات فليس بين ايدينا من ثراث الجدود كتب تنفع الصدى في بحثنا عن ادب ذلك العصر البعيد بحثاً علمياً كالذي زاه في دراسة علماء
القرب لا داهيهم ولغاتهم . وسبب ذلك ان العرب حين نشأت لغتهم وبنان لهم ادب في الجاهلية لم يكن فيهم من يقيد تلك اللغة ويدون
فيها الادب . وكان سوادهم على جهل بالقراءة والكتابة الا نقرأ من سادات العرب وقراءهم وقوس النضارى واجساد اليهود كانوا
زرراً يسيراً في الحجاز او اليمن . وهم بالرغم من ذلك قد حذقوا المعرفة بالنجوم من غير منظار . وعرفوا القياس بالقيافة والمقارنة ، بدون
« علم الانسان » . وانا عذري الا ادب الجاهلي ان وصل اليها منه القليل فان امته ابدعته ابداعاً . ولم تنس فيه او تتقيد بعلمها من الامم
التي كانت تعاصرها . وهي لو قلنت او اقتنت لكان لادنا اليوم شأن خطير قد يذبحه آداب الاقوام جميعاً . فلقد كانت هذه الرقعة
المترامية باطرافها التي عاش عليها الجاهليون ونسبها جزيرة العرب ، في شبه معتزل عن الامم المجاورة ، فكان اعتزلها هذا سبباً في ابتعادها
عن الاخذ بنماذج الثقافات الذي يكون بين الشعوب ، ويلقب به بعضاً من بعض . فتكون الألوان الادبية ، والوجهات الفكرية . كالذي
كان من امتزاج اليونان بالفرس . وأرى سبب هذا ان ارض العرب لم تكن مطعماً لثلاثين لثلاثين كلتا تجارها وهما الفرس والروم .
ولو انها غزت ارض الجزيرة ونشبت بينهما وبين العرب حروب منقطعة او فتحوا لربنا الثقافة الرومية والفارسية قد بلغت اعماق السيلاد
العربية قبل الاسلام . ولكن لنا ادب جاهلي منظم وضاح المالم بين الصروف فيه شعر قصصي ومنه ادب تخييلي . لم يترك العرب المعتزلون
تأراً حجرية ولا كتباً جاهلية . وخصوا غير تاركين الا قصيداً ثرولاً حشواً فيها مدحاً من غلظت نفوسهم وعلجات قلوبهم وغمرات
عقولهم . وكان الشعر عندهم ديوانهم الاعظم . كانوا يحتفون ليا احتفاء بالشاعر ويبدلون عزمه على حدران الكعبة مكتوبة به . الذهب
كانوا يمشون باس الشاعر ويمضون بكلامه . به كانوا يدورون عنهم ، وراعي الخصوم وسطبه كانوا يجلون قبيلهم الرفعة والمجد ،
ولكم طاب للرواة ان يقصوا علينا مدح الخطيئة لبي ابن الناقة وكرب ربيع من شافهم . كانوا خاملين ، واذا بلغوا الى الاعشى
قدروا جهم مع الحلق وبناته وهدية الحنان اني حلق بها حتى منارل قومه وقول الشاعر فيه : وانه من اعتلج الحر والسنام في جوفني لا قولني
فيه شعراً ما قالته العرب : وأرى الشعر اجاهلي على قلته وقدة شعرائه يكسبي اربابنا ضرورة ووقدة عن قوم اقدمين اظلمهم الساء فوق
ارض جرداء ما عليها من ماء . الا آثار زردة عند ظلال النضيل . اقرأ شعرهم فأرى فيه عيشهم واحس باعزائهم واسمع ديب آلامهم . انه
يصور لي ما اشجى بينهم من خصام ووفاء وما يعترقهم في البعد والقرب وما يحف بهم من خير او شر . وان اكن أرى هذا من خلال
سجون قاتلة الا انها تشفع عنا تحتها قتيبن . لكن غير رواية باحثاً ولا ناعمة غليلاً . وما ابنتي من الكهل في ادب قوم ما عرفوا الا الورب
خيما وكسا . ولا سكنوا الا المدربنا . لقد امتلأت قلوبهم في الحرب بالخيول والرمح والسيوف . أنست نفوسهم في السلم الى البعر والشاة
وطافت عيونهم بمنى المرأة وجيدها . وميزهم من امم الدنيا الكرم والمروءة . التي اجد كل هذا في شعرهم الجاهلي فلقد وصفوا فيه السهل
الاملس ، والوادي المسحيق ، والسجانة الوطاة . والساء المصيبة الصافية . وقموا بأثار الاجاب يد رحيلهم فذكروا التؤني والحجادة
والدمن والاطلال . صودروا الحرب واهولها ووطن القنات وضرب الحسام وغمر النوق والشاة للاضياف في الهالي السود دوات الهريز ،
واشدوا المعرى والشباب مزامير ولحونا عذبة سابية وخلفوا ملاحة المرأة باشباهه ونظائره . من كان يحمل بالهمى ، ويمباً بالفانزة ، ولم
يشبه شعراً الجاهلية عيون النساء . يصون القلب . ونغار الجاكر بنغار العرايب ؟ وطال بهم الحلب على الضيف وبذل المعروف له وجرت
دماؤهم جدول في سبيل الشرف والوفاء . حسب شعر الجاهلية ان يحمل هذه الخناجات ليكون غير مقصر في المنار . . هذا ادب الجاهلية
وقد وقفت على ارباض فرق الرمال المحرقة فوردته راسماً احس في روعي ادراهم العطاش . وتراى لي على صفحاته المتسمة صورهم
وهم متلعون بالفاوات ، يجررون ادانهم مضطعة بالظيروب ، تحتمل افراسهم السلاهب ، وبايديهم عوامل الرياح ، والمهندات البيض .
وبدت لي مساؤهم على ابواب الحيام ، وتحت ارقعة المضارب ، سوداوات العيون والشعور يتلقت نجاد الظلام . وصحت اصواتهم من صميم الماضي
ناطقة باللغة العربية الحلوة صافية الكلام واضحة البارة اخاذة الاسلوب .

نبي الحاسي - وشي

مناجاة

قالت ، لنا الزورقُ
والأرحبُ الأذوقُ
قلتُ ، لتيارهِ
جنونه المطبقُ
قالت ، يعومُ الهوى
بنا ، فلا نفرقُ



وقالت الليل ، مثل
اليم ، أو أعقُ
قلت ، لنفسمانه
في اليم ، منها يهقُ
قالت ، لنا عندهم
على الوفا موثقُ



ومرّ من عمرنا
شبابنا الريقُ
ما ضمنا فيه ، لا
ليل ولا زورقُ



نفرود بشرن

عدو المرأة

اللمرود

بسم امين القريب

رجل

كان أوقع سؤال يمكن التقدم به من سيده على الإطلاق : كم عمرك يا سيده ؟
فالنساء في كل العالم يمددنه هاهنا مجانبية ، واعتداء لا مسوغ له . وقد صار الرجال

المتمدنون يعرفون ذلك فيجبونه . بل يأذرون امام السيدات محض البحث في الاعمار . لان
العمر على ما يظهر للعدو هن . ينكرون حقيقته ، وينكرون على الناس حق ذكره امامهن .
ولماذا ؟ لان رأس مال المرأة الاساسي في الحياة جمالا . والعمر في رأيا بقدها اياه . فيزيل
الجمال من عينها ، ويعبر النظارة والاحمرار من وجنتها . ويجفر الاخاديد والاثلام في جبينها
ويدهبها . ولكن لماذا تدع الفتاة الجميلة النظيرة الوجه الناعمة المس لممر سيلاً كي يدك
اركان جمالها ، ويجحد هذا التخريب في المستودع الرئيسي لرأس مالها ؟ سئل مرة بعض الرجال

الحبيرين في الموضوع : ما هي السن التي تبلغ المرأة فيها اوج الجمال ؟ ولو كان اولئك الرجال من صنف الشبان الذين يطلبون الزواج اليوم
لأجابوا جميعاً ان اجل ما تكون المرأة في سن ١٥ لان شبان اليوم لا يبحثون في الجمال الحقيقي الجذاب بل يريدون فتاة كاتني ارادها
الانجيل المقدس اذ قال : « اتخذك عروساً بلوبها » . اما الذين تعينهم الان فاناس عركهم الدهور وعكروا شرباني واقف عديدة صافقة وفهم وحكمتهم
ويكفي ان يكون بينهم بلزك الفيلسوف الفرنسي الذي قال : ان اشد سني المرأة خطراً على القلوب هي الخامسة والثلاثون . وقال غيرهم ان الثلاثون وقال

آخرون بل هي الاربعون . وعلى بعضهم ذلك بقوله ان المرأة قبل الثلاثين تكون اشدة اغراء ، ما من ان تقاطق وتحتمل . وبعد الاربعين تصير اما قروجا
اكثر من رفيقة . وعلى ذلك يمكننا القول بان الجمال كي يستوفي شروطه لا يمكن ان يكون تدا في السيدة نفسها بل يجب ان يؤثر في
النساطرين اليها . فرب امرأة متناهية في الجمال يشرق وجهها كالمدر المير . وهذا الوجه مع ذلك لا يقول شيئاً للناظرين اليه ، بل ان في
بعض الوجوه الباردة في الحسن شيئاً يصدم العين وبعد القلب ويروي بالتصايق والانزعاج . وقد خلفنا هذه الامور غالباً في الصبايا المتزوجات
بين سن ١٥ و ٢٠ و ٢٥ . فالتفتة في هذا العهد لا تكثرت لا راء الدس وير ، ولا تقبل ان تكون عانساً الثابتة لدهرهم موضوع بحث واستتمام
فهي جميلة جداً وكفى . ان لم يصرح بذلك لسابا عث عليه حر كانها وسكنتها ، وان لم يفصح به جنانها ، دأت عليه نظراتها ونهراتها .

والانسان في اعماق فكره حر ولو تظاهر بالعبودية . قد يخضع لسانه ويختم ويدب على الركبتيين ، اما رأيه الداخلي فلا يمتو ولا يلتوي ،
بل يميل دائماً الى الاستفناء من كل من يستغني عنه . فالتفتة لا تكثرت لحكمة لا يكثرت لها ولا يمي . حكمه في مصلحتها . فاذا اتت

عليها السنون الثلاثون بدأت حرارة الكهيا . في عروها تعهد والافكار النبعة في دماغها تنضج وتختبر . وعادوها من السكينة والمهدوء .
ما كان ينقصها قبلا لتصلح للامتحان . واشرب وحبها تلك النظارة الزاهية عنوان الشبع والارتواء ، كما تنضج اوراق النبات وتنتش
بعد ان تجتاحها الصافعة . وفي الخامسة والثلاثين يشتد تأثيرها في من يدانها لانها تصير ادري بالاساليب الحربية وانجر باستعمال الاسلحة
واقاتها . ولا يزال فيها من فضلات الفرور السابق وبقايا المصقولة ، ما يدفعها الى الهجوم ورمي الشباك . وهنا موضع الخطر . فاذا عدتها

الحجة الاربرين تم تضيها واكتشلت مآدفا وادركت ان الدنيا قادرة على الاستفناء عنها . وهذا سر اسرار الجمال . فهي بعد قوبة الجسم
مقنونة الساعدين لكنها صارت اعلم بالحقائق . لا تقتر بابتسامة . ولا تسكرها كلمة ثناء . ولا يبهرها التمايح الكاذب ، ولا ترضى بغير
الحقيقة . واما الحقيقة هي الجمال كما قال يوالو الشاعر الفرنسي المعروف . اجل ان الجمال هبة من الله كما يقال . لكن الله كريم ، لم يحرم

خلقة من خلخته بعض الجمال ، ولا ضن على مرحلة من مراحل هذا العمر بحال خاص بها ترمو به على سواها . فالمعجز الباردة تشبه قسراً
منياً ما ذهبت عنه روعة الحديد حتى تحلى بظلمة القديم . كلنا نتذكر المرحومة « ساره برنار » المشقة الشهيرة التي نشرت اسم فرنسا عالياً
في اربعة اقطار الارض . رأيتها بعيني في السبعين من عمرها تزل بشكل مدهش دور ابن نابوليون في سن الثانية عشرة تركض وتقفز على
ركبتين جد ذلك الامير في القصر الامبراطوري كالرعد المتل . قوة ومروءة وتقوم في بعض المشاهد مجرد كالت بيجز الفتان المرافعتين من تقليدها .

وفي الولايات المتحدة مدينة تدعى ملووي في ولاية وسكنسن يضرب لكل هناك في جمال نساها ، اقامت معرضاً للجمال الباهر سنة

١٩٢٥ تبارت فيه التبدل الحسان واشترك في الاقتراع الخطي ملايين من الناجحين فكان الفوز النهائي للسيدة «ماري لولوي» إذ نالت مليوناً وتسعمائة ألف و ٢٥٠ صوتاً أي ما يزيد مائة ألف صوت عن أقرب مناضلة لها . و تدرسون كم كان عمرها يومئذ ٩- تسعاً وستين سنة . وقد تقبلت الأكرام الذي غرهما به الشعب في حفلة ترحيبها بالأهر بناية الهدى والسكينة فلم يبق رأساً طليئاً وعموداً ولا حسنة لمروش الجمال قيمة غير قيمته الاسمية . سنة ١٩٢٩ ماتت السيدة التي لفتت انتباه الناس في صباحها ولم تكن ، وهي في السادسة والسبعين تفوق عنها في الثلاثين . والسيدة مارغو اسكويث قريبة رئيس الوزارة البريطاني الشهير المعروفة في عالم الاقلام بانتمت من العمر عتياً وظلت تطاول السنين بقدها المياس وقوامها الأنيب حتى قيل ان الذي لا يعرفها في انكلترا يشبه الفرنسي الذي لا يعرف برج اينفل ، والبنسائي الذي لم يسمع بلز لبنان . ان من يرى عابة الارز الباسقة في لبنان ، وجذوعها المائلة قد تحجرت كالصخور لا يقول انها شجرات شايخة هرمة . بل ينظر الى الاخضرار الابدي في رؤوسها الشائخة في الجو ويقول انها شجرات جميلة تدعونا نضارة غصونها دغم عشرات القرون الى الامان في حبها واحترامها . لكننا لا نأالي بالشجيرات الصغيرة على ما في جذوعها من طراوة ، وفي غصونها من خضرة .

وهكذا الحال مع البشر . فمن يكبر ويحتفظ بقواه العقلية والجسدية ينال من احترامنا ومحبتنا اكبر نصيب وفي ولادنا . من هي المرأة التي تعد نفسها صبية بعد الحنين؟ - اجل ان الحنين من لا تعترف ببلوغها سيدة على الاطلاق . لا اميري . لكنهن يعلمن رغم زوهرن الجميلة ، وغالباً يحسن جبل الحياة الجوهري قد تصرم . مع ان المثلثة الفرنسية « مستعجبة » التي امتت جمال ساقها عند احدي الشراكات بخمسة ملايين فرنك ، وكاتي شروت التي خلعت على الناس لما اختارتها الامم لاطروحة الصياحات النسوية لتقرأ للاممها لوفروفسوي جوزيف ، والسيدة جزر الروسية والسيدة اوليفر هريان الاميركية ، يملن بكل صراحة قائلات : « ان محاسن الحقيقة ولذي في الحياة ابتدأت بعد سن الحنين » . والدوقة تولدن الانكليزية جدة اربعة عشر حفيداً كانت تقول انهم هم الذين حاروا بينها وبين الهرم . واحتفظت بمدسن الخامسة والسبعين بجبال فضلها الناس فيه على استقامتها التي كانت آية الحال الساحر في رواية « العجوبة » على « ساحر نيويورك » وهيلانة الطروادية شبيبة قيثوس الالهة الجمال ، على الارض . كانت قد جاورت سن الشباب لا خلفها ابن . مات طراودة وحشد اليونان الفلسفينة لاسترجاعها بعد حرب طالت عشر سنوات واهلكت المليونين والثلاثين

ونينون دانكلو الفرنسية حام الشباب حوها وهي عمود كما حادوا حولها وهي فتاة . حتى ان احدهم وهو في سن الحادية والعشرين انتحر لرفضها الاقتران به وهي في الثانية والسبعين . وجميع هؤلاء الحيلالات لا يعتقدون ان التهجيزيل آثار الهرم . بل ترى السيدة هريان خدراً ان الصباغ الاحمر لا يدل على الشباب . بل على عكسه . وان النوم الباكر المبنيق سبع ليال متواصلة يقوم مقامه تماماً .

فادرس يالسيدة هذه الامور . واعلم ان ما يطلو على الوجه من تجعد وانكماش لا ينتج من العمر بل عن عوامل كسنة في النفس . واسباب هذا التجعد في وجهك ، ليست في سنك بل في طباعك . ان بعضها قد تأتي عليك من تعب الميول او الافراط في الشغل . او الهزل بعد السن . كما ان للحالات العقلية المفحوصة علاقة كبيرة بتجعد الوجه وتكسح الجلد . منها الحزن والغضب ، ومنها الخشخشة والحقد والحسد ، ومنها اللؤم وحب الذات والغيرة الشائكة المحرقة ، ومنها التكتف والاحتيال والبخل والطمع . هذه الصفات النفسية تنقش مع الايام آثارها العميقة في وجه اصحابها فيستطيع المتأملون قراءتها بسهولة . فالتجعد في الوجه كالباردوة لثلاخلاق ، ينبغي بها ويجفرها كالنقش في الحجر . على اننا لا نرضى ان يخلو وجهنا تماماً من كل اثر للتجعد . لان الجديرين في هذا الفن الذين يفسرون لنا معاني التجعد المختلفة في الوجه يؤكدون ان الوجه المسطح الاملس قد يخفي وراءه دماغاً مسطحاً املس ، وبعض التجعد معان سامية تجلجها غروباً فيه غير مستنكر . مثال ذلك ان ميلاً واحداً بين الحاجبين يدل على شخص حزين ينقد نفسه اكثر من الآخرين . ويتم على عمق التفكير مع محبة لائق والانصاف والنظام . كما ان الميادين الاقربين فوق الحاجبين معترق . بارز ما بينها يدلان على اللطافة وحبا الخير . ثم ان الايائل النجيلة عند زاوية العين قرب الصدغ تشير الى ابتهاج القلب والطمانينة . فهي جمدة الوجه اذن ان تنبته الى هذه الامور وتدرسها درس الرأغب في ازالة القبح منها والاحتفاظ بالحسن . ولعمري ان الفهم المتقلب الذي تضيق به حيلة اطباء الجمال يتغير حالاً بجيش التغيير في بعض الطبائع النفسية . وهكذا التجعد . اما العمر فلا يؤثر في جمال الوجه واعتدال القوام ، بديل ان الوقفات على اسرار الحسن الطبيعي المشايث على قواعد الصحة ظنين حاملات لصولجان الحكم على القلوب الى سن متأخرة جداً . فكوفي دائماً بشوشة . واذا دب الهرم في صدرك ، فادفعه وراء . فظورك . تبقي جميلة طول عمرك .

امير العرب

الادب التركي الحديث

نبأ فاض

شاعر شاب استأثر بذوق الكثيرين منذ جرى قلبه في شعر ، لما تفرّد به من جدّة وإبداع في الأسلوب . ورؤية الفرنسيين تحطّر في كل بيت من أبياته .
أروع مجموعات الشعرية تلك التي أجمعها « بلاط الشوارع » . انتقل منها هذه المقطعات :

« بلاط الشوارع »

« أنا في الشارع في وسط شارع موحش ،
« أدلج ، أدلج ، أدلج ولا تثق خلتي .
« وحل مغلّ دربي الذي يباقي الشمة ،
« ألمح طيفاً ، كأنه بانتظارني .
« السباء السوداء مطاة بنجوم برش ،
« والصواعق تحدد مداخن البيوت .
« إن روحين تسهران في حضن هذا الليل :
« أنا والبلاطات المكدّات .
« خوفٌ يترلّ على نفسي قطرة .
« يتراءى لي مارد ، يتنظري في مسطح كل شارع .
« والبيوت ، كالسبائك العارضة عاجز .
« تحجبني بزجاج نوافذها الأسود .
« والبلاطات ، أمهات من يتألمون ،
« والبلاطات ، هي المخلوقات التي تشر بالآمي وتنتبه بجان
« ورائتها التي تسمح في السكون ،
« هي اللثة التي تضر كل ذاتي .

« لم أكن لأعلم لروحي فوق مدر دافئ ،
« أنا الولد الذي يرغب فيه هذه البلاطات .
« أودّ ألا يطلّ القمر على هذا الشارع .
« وألاّ تنتهي رحلتي عبر هذه الدرب المظلمة .
« أريد أن أضي وإن بقي الدرب معي ،
« لأنّ قنصر المصايح عن الجانبين كالسبل .
« أريد أن تسع الكلاب وقع أقدامي ،
« وأنّ تنصب جيداً في الظلام أقواس الحجر .
« كما نرى إلى الحبس البور ولا إن ترائي عين ،
« تحزن لكم البصر فأتروا لي الظلمات ،
« أريد أن أذهب مع الذي ساء لي ليل .
« ضلّوني ، ضلّوني بالظلمات البليّة .
« أريد أن ينطرح جسدي بطول على الحجارة
« وإن تلطف برودة هذه الحجارة نار حبيبي
« وإن أغرق في مياه عجيب كسبات الشوارع
« فينبأ الموت كالهدى إلى جسدي وأنا فوق البلاطات رفيقائي .

وفي قصيدة « فهم »

« أنت القتيبة الشاردة في الجبال
« وأنا القول الذي يتأردك .
« يمكنك ، إذا شئت ، أن تستغيث العالم كله .
« غير أنه لن يكون سوى أنت وأنا على الأرض .
« والدروب التي متسلكتها تسلموك رعدة .
« إن وطء خطواتي سيترك ،
« وأذخر أشباح عتوق جسديك .
« في ليالي الشتاء ، ضمن غرفتكم الموحشة
« فكّري في عندما تجتاحك قسمة حفية

« وقولي لنفسك : « هذا هو الذي يمزّج زجاج النافذة وليس الريح
« المجرى ، هذا هو » .
« إن السّم الذي يرنه صدري في الغوا ، سيؤدي حياتك كإندوي الوردة .
« امري ، إذا شئت ، من مدينة إلى مدينة .
« أمّا مالك فإني في اليوم الأخير .
« إذا كانت حياتك كنتهي ، أبدية .
« فأني سأعتدى سر الموت ، وانتظر ،
« وإذا انتهرتك التراب من ضمي
« فسأكون بلاطة على قبرك ، وانتظر . . .

غفران الرامي

شيلي وبروونيه مصدر الرمز في فرنسا

نجم شيلي من بيت غني ونبل قادخه اهل الى مدرسة آتون للاشراف ، الا ان طبيعته الاسترقراطية وروح الحساس ، بل المفرط في الاحساس ، لم يتفقا وذلك الوسط المتجرف فاعتزل رفاقه واخذ يلصق على جدران المدرسة اوراقاً غنمها آراءه الفلسفية في الحياة فاستحق بذلك القاباً مختلفة منحه اياها رفاقه منها « شيلي الجنون » و « شيلي الكافر » .

ثم انتقل الى جامعة اوكسفورد فانصرف الى الدرس باجتهاد كبير ، وحاول ان يثب مبادئه في اساتذته ورفاقه ، فطرد من الجامعة ، وما عم الامر ان طرد من البيت ايضا فقام على نفسه في شوارع لندن ، واتفق ان اخذ عيال امرأة مثقفة ثقافة عالية هي ماري كودوين سافر معها الى فرنسا وسويسرا ، وهناك تعرف الى بيرون ، ثم الى ايطاليا .

وفي العام ١٨٢٠ انتقل الى فيز فاصطفاها اهله هي اميليا فينياتي فاهت الى حباً صريحاً لم يشعر به شاعر منذ عهد دنتي ، وفي العام ١٨٢٢ فيها هو يتنزه في البحر انتكبت به الزرقة فغرق ، ولما وجدت جثته على الشاطئ احرقته على الطريقة القديمة بمضمر من بيرون .

وكان في الثلاثين من عمره .

اما اشهر مؤلفاته الشعرية فهي : الملكة ماب ، وهي قصيدة تخر بالخيال وتميد الى الشاكرة عهد الملكة اليباليت . والدستور وهي قصيدة صوفية . وخلص بروميته ، وهي دراما غنائية ترمز الى انتقاد العقل البشري وانتصار الافة الكونية . وايستيشدون وهي قصيدة في الحب الطاهر نظمها الشاعر تكرباً لروح اميليا فينياتي . قال احد المفكرين ان الشعر الانكليزي هو اتقى روحانية من سواه ، وشبهه بالوذي التي تتلون في احلام النائم ، فهذا التعبير ينطبق على شعر شيلي ، الشاعر الذي لا يجارى على حد قول الانكليز .

عرف شيلي ان يلبس جميع المحاولات الوفاً من الارواح المتبدلة ، من البنية الصغية ، الى القيم ، الى الكواكب ، ومن هذه الالوف من الارواح تتكون روح عامة هي الله الذي هو جمال وحب . شيلي هو شاعر الحب ، والحب والد الجمال وملك العالم الذي

سينش يوماً الانسانية المثالة .

وقصارى القول ان شاعرية هذا الشاعر الغلب التي تسمو كثيراً على شاعرية بيرون من حيث الصياغة ليست غناً مقدار ما هي وحي والملم .

بروونيه

بقي معاصرو بروون زمناً طويلاً يقولون عنه انه « رجل عامض زغت اليه امرأة شاعرة » ، هي اليباليت بروون الشاعرة الانكليزية الشهيرة . ولما بلغ الخامسة والثلاثين من عمره كان لا يزال مجهولاً . ولم يذع صيته الا بعد وفاة زوجته فحصله الوسط الراقي الى التيوم . اما مؤلفاته الشعرية فتبلغ نحواً من ثلاثين مجلداً .

قال الشاعر الانكليزي تنيسون ان بروون شاعر غاض ، فبعد ان ترسم بروون خطي بقصائده التنايلة اللاهوتية ابدع الشعر الدرامي او الدرامي النفسي . وقد اراد الشاعر بطريقته الجديدة هذه ان يظهر فناناً تأثيراً للنفس المحجوب قتال الى الارواح ليدرسا ويكشف غضاها .

قتال غوس ان موهبة بروون تقوم على الدروس النفسية العميقة التي لا تشبه الا في مؤلفات شكسبير .
بروون هو الشاعر المنطقي عميق يميل الى بحث المسائل المتعلقة بالضمير ، وهو الى ذلك فيلسوف متفائل يؤمن بان الانسانية سائرة الى مستقبل جميل .

شيلي وبروونيه

وقد ترجم شيلي الى اللغة الفرنسية فتذوقته صفوة الادباء الفرنسيين وبينهم الكاتب الشهير بول بورج الذي استوحى شعر شيلي في اولى قصائده التي نشرها عام ١٨٨٢ في مجموعة ساهها « التنبؤات » .

وكان تأثير الادباء الانكليز شديداً في فرنسا ولا سيما تأثير شيلي وبروون فانها مثلاً دوراً عظيماً في الحركة الرمزية ظهر اثره في جميع شعراء هذا المذهب . ومن يقرأ قصائد الشاعر الفرنسي بول فور يجد فيها طابع الشعراء الانكليز . وما يقال عن فور يقال عن مالارمه ، زعيم المذهب الرمزي في فرنسا ، ومن فولين الذي تجذ في شعره الرمزي عذوبة التعبير الانكليزي النقي .

وقصارى القول ان الشعراء الانكليز نهوا شعراء المذهب الرمزي في فرنسا الى ان الشعر يجب ان يتجرج بالاحلام .

في التربية الاميركية

علم الانسان روز غريب

للدسة بكية البناث الاميركية بيروت

١ - نشأة التربية

نشأت التربية الاميركية بفضل جهود فردية عملية اي بساعي افراد مستقلين عن الحكومة فكان اساسها ديمقراطياً محلياً ولا تزال حتى الان تصطبغ بصبغة الديمقراطية والنفوذ المحلي . فليس في اميركا نظام واحد بل ان كلام الولايات قد اشدت نظامها الخاص وليس للحكومة المركزية في واشنطن سلطة مباشرة على المآهات بل ان اهل المنطقة الواحدة يجتمعون بحرية واسعة في وضع مآهاتهم . واكثر الولايات الثمانية والغربية والوسطى اعتنت بنظام « المدرسة المحلية المستقلة » وهو يعطي كل مدرسة استقلالاً تداً في انتخاب معلمها وتعيين مآهها وجمع مآهها . وقد حدث في المدة الأخيرة تداير ترمي الى ايجاد الصلة او الوحدة بين الكليات المختلفة فانشئت جمعية تمثل كليات الولايات الثمانية واخرى تمثل كليات الولايات الجنوبية وثالثت لجان فاحصة لاجراء امتحانات عامة . ووحدة بين الطلاب . وسكن رغم هذا لا يزال النفوذ قوياً والرأي العام في كل منطقة تأثر كبير في مدارسها . اما الجامعات الاميركية فلا تديرها السلطات الحكومية كباقي اوروبا بل هيئات تربوية خاصة لا تعتمد سلطة امام الحكومة الا في مقدار قليل جداً . وهذه الهيئات تدعى مجالس امناء . وسلطة باشرة امام الشعب الذي انتخبها . ان هذا النظام اللامركزي يسند الى النظرية القائلة بتحرير التربية على قدر الامكان من سلطة الحكومة . فوجعل دبيرها . وواين راساً لدى الشعب تعزيزاً لمبدأ الحكم الذاتي ومنه للاهواء . من ان قد اصابها وتلب دوراً في شؤون التربية او تسخر مآهات العلم بايات ودعايات حزبية ضيقة . على ان قوة النفوذ المحلي في المدارس لا تعني اهمال التربية القومية بل الامر بالعكس فاهتمام المدارس الاميركية بالشؤون الاجتماعية هو معروف . وتدرسها العلوم الاجتماعية والمسية والسياسية يوماً حراً . شديد الالامية . من ربحها . والاعمال اللانهاجية التي توجهها للطلاب الى الخدمة والاشراك الفعلي في ترقية المجتمع من اور . فظاهر هذه الثقافة . وزيادة على عدا نحن ان نوالثة الوطنية في الولايات المتحدة بعد الحرب العظمى جعل بين النظامين الاميركي والاوروبي بعض الفوارق . والبالفظام الاميركي في بعض التمرکز ورداد تدخل السلطات التثريعية في شؤون التربية والاختصاص بين دولهم ودوائر الادارة الحكومية . ومن مآهات هذه الازعة الوطنية ان مدارس الجاليات النازحة حديثاً الى اميركا - التي اعطيت في رد الامور حرية تامة في انشاء مدارسها وادارتها - اصحت الان تخضع للتسريع بغني يجعل الالفة الانكليزية وحداثة التدريس فيها ويعرض عليها تدريس تربية البلاد وجموعياتها واحوالها المدنية . على ان هناك توازناً بين نفوذ السلطين المحلي والمركزة . وليس للحكومة سبيل الى الافراط في التبعيد بل ان حقوق المجتمعات المحلية مضمونة رغم تدخل الحكومة .

٢ - عوارف الكنبسة والادبيات بالمدارس

في اميركا - كما في غيرها - نشأت اكثر المدارس بساعي الاكايروس والحميات الدينية ثم تحورت هذه المدارس تدريجاً من نفوذ رجال الدين كما في اورا . لكن الطوائف تختلف بنح التعليم الديني في مدارسها والدستور الاميركي ينص على حرية الدين . وفصل الكنيسة عن الدولة . على ان التدريس الديني يكاد يقتصر على احتفالات الصباح با فيها قراءة التوراة وديننا نجد اكسائر الولايات تعتني القانون اسي يرم التدريس الطائفي زى من جهة ثانية حركة تربوي الى ادخال تدريس التوراة في المدارس وجعله درساً انتخابياً صكها في الكليات والجامعات . بناء على الحرية المتعة في مسائل الدين وينا ان تدريس الاخلاق او ادب النفس بواسطة الكتب يتنافى ومادى . التربية الاميركية . زى البعض بتدوين المدارس الاميركية وبنهجها بالادبية . ومع هذا فالمدارس الاميركية اكثر المدارس نجماً في تكوين الاخلاق بشهادة الاوربيين انفسهم . ذلك لان هذه الناحية تشتمل المحل الاول في مآهها اما تدريس الاخلاق مبالا يتم بواسطة الكتب او المواظ على بالارتباط الوثيق بين دروس الطلاب وحياته والاهتمام الشديد بالاعمال التطبيقية والتربية العملية . ثم ان المعلم يشعر ان تكوين الاخلاق اهم مشاغل المدرسة تسمى لخلق بيئة مناسبة لتكوين الاخلاق وذلك بالتشديد على اهمية التعاون والمؤدية . والطلاب

٣ - طرق التدريس

تحتل العلوم الاجتماعية - ومنها علم النفس وعلم التربية - مكانة هامة في الثقافة الاميركية الحديثة . والاميركيون ينفقون الاول

العائلة على انشاء وتجهيز عتبات علم النفس والتربية وترويج التأليف في هذه العلوم وتطبيقها في معاهد التربية والمؤسسات الاجتماعية ولذا نجد في المدارس الاميركية مجالا واسعا لتنوع الانظمة والطرق التدريسية وبما ادارتها في ايدي السلطات المحلية لا المركزية فليس ما يجهر على التقيد بتوحيد الطرق ، ولا تضارعا مدارس اخرى في الاقال على اختار الطرق الجديدة وبحث المشاكل التربوية والسعي لحلها يختلف التجارب وعقد المؤتمرات التربوية وتشجيع المبادرات الجديدة واخراج النظريات الى حيز العمل ، فكان نظام التعليم الاميركي يتجه بضعه تجرب فيه انواع الطرق والاساليب ليتوصل من ذلك الى افضلها . والهيئات التدريسية قد اوجدت لنفسه القاية مئات المحلات التربوية وخلقت لاسلمين في انشاء علمهم فرض الدرس المهني والاستفادة من التطورات التربوية الحديثة . وهيأت لهم المؤتمرات والمدارس الصيفية ، وفي تحضير المدرسين وتلقيهم اصول التعليم يشغل موضوع الطرق التدريسية محلا لتقوياتهم والاهتمام بتدريس علم النفس وطرق الملاحظة ، والتمرن على التدريس قبل التحاقهم بهن في افتقار الموضوع المتوي تدريسه ، والاشارة الى اهمية النمو المستمر في شخصية المدرس ، فغوي في فهم الطلاب وفهم موضوعه ، اما في اوروبا فيلقن الطلاب فن التعليم ما يسمى بالطريقة المثلى للتدريس وعلمهم اتباعها والتقليد وليس هذا اثر في مدارس التربية الاميركية فهناك تهم الدوائر لاهداف المدرسة اكثر من اهتمامها بالطرق . والطريقة المول عليها بصورة عامة هي حالة الطالب على جهوده الذاتية ودفعه الى العمل الشخصي وتحمل المسؤولية ومن ها كان اعتاده على الكتب يفوق اعتاده على المعلم . والتدريس في عرف الدراسة يفسح للطلاب مجال اظهار مواهبه بطريقة السؤال والجواب والمناقشة الحرة بين المعلم وطالبيه . وقد يطلب المعلم من الطلاب ان يتخذوا طريقة في التدريس ولا يأنف من العمل باقتراحاتهم او بعدها اذا وافقته ، كما ان المعاهد الكبرى تسأل طلابها احيانا ان يحلوا اليها انتقاداتهم واقتراحاتهم بشأن اهدافها وامثلها .

٤ - مناهج الدرس

يتألف التدريس الاميركي من ثلثي سنوات دراسية متتالية بعد دور احتضانه وروحة الاعمال تدبر اربع سنوات تدريس ثانوي ثم اربع سنوات في الكلية . وطلاب الهندسة يكتفون سنتي استعداد في الكتابة في الامن في دور طبقة لا يستلزم اكثر من التمام الثانوي . وجميع المدارس الابتدائية والثانوية اعطى الطالب اعدادا وحدا ودروس واحدة في سبب اي لا تختلف الا في بعض التفاصيل وهذه الوحدة المنهجية تساهل عن وحدة الميول الديمقراطية عند الشعب الاميركي . ولله الميول العامة الشديدة الجور هي التي جعلت عند الاميركيين رغم اختلافاتهم الصعوبة وحدة درسة في احادهم وطرق معيشتهم . مناهج الدرس عند الاميركيين باتنوع والمرونة او قابلية التفرع والتكيف ولا مدرس حق التصرف الى حد ما في الدرس الذي يلقنه والزيادة على المواد الاساسية المقررة وتوسيعها وتزويجها باستعمال المراجع المتنوعة ودفع الطلاب الى المطالعة الخارجية في الموضوع . والتربية الحديثة تعتبر تنوع المناهج من حق المدارس والطلاب ايضا لان لكل طالب نزعاته الفردية وميوله الخاصة . وبما ان مادة الدرس تعتبر وسيلة لا غاية والغاية الواحدة يمكن تدويعها بوسائل متنوعة فلماذا تقصرها على درس دون آخر ؟ . وتتميز المناهج الاميركية باهتمامها الشديد بالعلوم الاجتماعية كالصحة وعلم النفس والعلوم المدنية والاقتصادية وتدريب المنزل وتجهيز النسل والعلاقات العائلية وما اشبهها . وقد جرت في تدريس هذه العلوم شروطا لم تلقه مدارس اخرى . ومن ميقاتها تقديم الدرس العلمي على النظري والتطبيق على القواعد وهي لهذا تحاول ربط دروس الطالب بحياته اليومية وعلى هذا الاساس تعتني اشد الاعتناء بمجتمعات العلوم الطبيعية والاجتماعية حيث ينفذ الطلاب ساعات طويلة في التطبيق العملي . وتشجع طالبيه على التعقيب الشخصي والرحلات العلمية والتأليف القصصي والمسرحي وانشاء المحلات وان لم ينتجوا شيئا ذا اهمية في هذا الباب . وتدفعهم الى العمل الاجتماعي وهم طلاب فيقومون بانشاء المدارس الحانية والصيفية وتعليم الاملين ومقابلة الرائيين ومخالطة المجتمع ويقومون برحلات ومقابلات ثقافية وزيارات لاماكن العامة والمتاحف والمعاهد والمحاكم وينظمون الحفلات الخيرية ويمسجون التبرعات وهكذا يعيشون في المدرسة عيشتهم في المستقبل الذين يليها . والخلاصة ان الميزات البارزة في الثقافة الاميركية هي : الاكتراث من المواضيع العملية والاجتماعية وتوسيع مادة الدرس القانوني بالمطالعات الخارجية واستخدام المكتاب والمحلات بصورة واسعة . ثم قيام الطلاب انفسهم بالاعمال والمشاريع الثقافية والاهتمام الكثير بالرياضة البدنية باعتبارها وسيلة تقوية الاخلاق والجسم معا . وتشجيع الابتكار والاعتماد على النفس والتعاون والمساعدة الاجتماعية .

دور غريب

الزورق السكران



دونك هذا الهم لا تفرق
على ساطع ناعم لوزق
نأت بها روعي : ولم تشفق
وتنتقي تدفن في الشرق
قلبي لاسي كالنقى للحدق
وقلبه الجاسد لم ينفق
كحيرتي في العالم للنفق
وكركك الدنيا صدى منطقي
حمرها حب الشاعر الاحق
في نيك الحاديء !! لا تنق
في جوعها السابق بالزريق
في غلظ زاهي الروى شروق

يا زورقي السكران يا زورقي
ارجوحة ؟ ام حلم حاتم ؟
الرييح تحمذك الاماني التي
تحمل ليمالي الى سرب
فذلك هذا الموج لو مسه
تساق مجزأ على صدره
يا سان تغضي السر في حيرة
يا زورقي بأبك ياسي انا
وحبك الغزلة في لجنة
يا زورقي دونك ما تشتهي
عبر دلتك تشبه الى
عبر من يسيل إقدارنا

سري عن السر

يا زورقي السكران

صفت في شطوط
عربي تدهو زرق
في عدا طمان
مل الذي حمران
والهمر كالدهان
يا زورقي السكران
هيا بنا عكري

بكنتك لو عكري على ادعي
من زينات الصبح والليلع
في علقني فد مل من اضلي
فالشس لليانس لم تسلم
مازلت احدها ولم تطلع
في شاطيء الدنيا !! ولا ترجع
من موضع غش الى موضع
واجر مي في عالم اوسع
عمن ناظر الجساد وللسمع
من عاصف عات ومن زفرع
وليس من شط ولا فزع
يا حيداً لو كنت تخفي مي !!

يا زورقي السكران يا زورقي
شرائك الايض من حاكمه ؟
هذائك الايتر من يا ترى ؟
يا زورقي السكران هيا اطلق
وارصد مي الانجم في افها
- لا تلق مرساتك يا زورقي
واجبر مي نرتاد حبلو لاق
يا زورقي دونك عبر الروى
نرتاده طينين في غشة
يا زورقي للساق في آمن
تجنب الانواء حاقت بنا
التيب يدعوني الى رحلة

محمود عيسى - مصر

أيها على حق؟

بضم الهمزة فلك طرزي

يقترأ لك في الحالة الثانية وقد فقد جميع هذه الميزات او جلها ، فقد قرويته وتفكيره وفقد استقلاله الشخصي فيصبح مقادراً لا قائداً ، مقادراً لهذه الجماهير التي تتهافت وتصفق دون ان تدري في معظم الاحيان الداعي لهذا الهتاف والتصفيق ، وهو ايضاً يجاريها في هذا العمل ، دون ان يدري الباعث عليه ، سوى ان الحلاس الذي المها قد المبه ايضاً فاندفع متحمساً لها ، يهتف ويصفق . وكثيراً ما يسخر محامته له وصفق عند عودته الى نفسه واسترجاعه سلطان عقده وملكاتة . وقد قال احد السياسيين : « بقدر ما تسهل الخطابة على الخطيب السياسي ، كلما تكاثرت الجماهير وترفرر للذخيرة ، تسهل هذه الخطابة عليه وتصدق ان قلت وتضاعفت » . ولهذا تستعين الدكتاتوريات بالجماهير لتأييد مذهبها وتثبيتته . ثم يينا ببالغ المفكر فكرته من كافة نواحيها ، لانه يتحدث الى الفرد من حيث هو انسان يصل حاضر نفسه وراضيا بمتقبلها ، يضطر رجل السياسة احياناً ان لا يتوجه الى الفرد ويتحدث اليه سوى من حيث هو سبيل بضن لمذهبه السياسي النجاح ، ويبدله بلوغ الهدف . ولهذا قد يعيش الفكر الحر في ظل سياسة مستبدية قائمة لقاية معينة ، لا مبنية على اسس الفكر الحر الصريح .

فان قال ريتان ان الانسان يدين بجميع المذاهب وذلك حسب وضع الظروف والاحال الذين يوجد فيها او يجتازها فلا يوجه قوله هذا الى نفس معينة من النفوس وظروف معين من ظروف الزمن : بل يوجهه الى كل نفس ايا كان ميلها وتزعمها ، والى جميع الازمان ايا كان طالبها وصيتها . وليس ثبات الانسان على المبدأ والفكرة وليس خضوعه لمعظم ما تخضع اليه الجماعة الا نتيجة من نتائج حياته مع هذه الجماعة ، وخضوعه لقوانين الاجتماع التي تخطر عليه

ابرز الميزات التي يتصف بها كبار الكتاب ، ميزة تجعلهم مقربين الى كل نفس انسانية مهما كان لونها وصفتها ، ومهما كان طابع العصر الذي تعيش فيه ، وذلك لان هؤلاء الكتاب يترفعون ، لو انهم يعلنون الى جهة دون جهة ، عن كل ما يسمى قبيحاً او تزعم عند ما يعبرون عن فكرة او يصورون رأياً او يرمحون اخطار .

ميزتهم انهم لا يفرضون ميلهم او رأيهم فرضاً عليك ، بل يعرضون لك هذا الرأي دون ان تلتس في هذا العرض تعصباً يزعجك او اطلاقاً في فرضه ، والانه يؤذيك . هم يهينونه من كافة وجوهه ويذلونه ، ثم يضمنونك حكماً اذا لم تحكم له ولما ان تحكم عليه . وهنا يختلف رجل الفكر عن رجل السياسة . فبينما يتحدث رجل الفكر الى الانسان بصفته انساناً كالكا كال حواسه وملكات عقله وتفكيره ، وبينما تنطلق اشة الفكر من اعماق نفسه التي يجتمع فيها كل ما ترعرع به الحياء وعقوداتها فتتوزع الانفس شظاياها ، وتتحول الشظية لشعة في كل نفس تصيبها ، يضطر رجل السياسة ان يتحدث احياناً الى الفرد وهو حياها . والفرد يفقد سلطانه على نفسه ، وتضمحل شخصيته عندما يخرج من نطاق وحدته ويتحول الى جماهير ، لان هذه تقنية فيها ، وتعمده شخصيته بل شخصيتها تعدم ايضاً وتذوب في شخصية قائدها السياسي . وان شئت ان تثبت من صحة هذا الامر فتأمل هذا الفرد في الحالتين : في وحدته وفي اندماجه بالجماهير . ثم ميز بين وضعه هنا ووضعه هناك ، يتجل لك الفرق واضحاً بين الوضعين اللذين يلبس لباسهما في كتا الحالين : فبينما تراه في الحالة الاولى متمسكاً بكامل استقلاله الشخصي متمسكاً باستقلال تفكيره وفرديته ، متمسكاً بحرية المناقضة والتمييز ،

فيلسوفاً اي مصباحاً يدور حول الفكرة ويدور حتى يسهر غورها ،
وينفذ الى دحية الاسرار التي تكتنفها . فالنيلسوف اذن يكن
في كل مفكر باحثاً كان أم قصياً يتحرى الحقيقة زينتها انقراعا
من صمم الاشياء والنفس . ولا يطلق اسم الفيلسوف على
اصحاب النظريات الفلسفية فصب : انما هو يطلق على كل كاتب
تجلى من خلال سطورده ، محاولة المشور على الحقيقة

اما التساؤل : ايها على حق ؟ فهو لا يتناول بالمفاضلة رجل
الفكر ورجل السياسة . بعد ان قاورت بينهما . انما يتناول
فكرتين جسمهما هوغو بشخصين يثلاث مذهبين يتشابهان من
ناحية ، ويختلفان من نواحي : يتشابهان من حيث سمهما ودار
غاية واحدة : هي بث فكرة الاخاء . والمساواة بين الناس جميعاً .
والاخذ بنصرة الضيف والنهوض بالمستوى الاجتماعي الى الحد
الذي يؤمن له مصالحه وحاجاته المادية والروحية ، ويختلفان من حيث
طرق التنفيذ : اما الاول ، فسيهله الى هذه الغاية هو سبيل كله
سلام ، يثمر النفس بالطمأنينة لانه سبيل الدين والامان . وأما
الآخر سبيل سبيل الاعمال والمخاطرة الذي يغمم النفس قلقاً
ورعباً ، **جبل يشتهك فيه نظامان** : نظام دجيمي محافظ ونظام
قطوري ، وتصلطم فيه عقليتان : عقلية تأبى الخضوع لتطور
وتأبى الانسحاق من الماضي وتعاليمه ، وعقلية تتخذ من العنف
وسيلة لكسر القيود والاعلال والانطلاق الى حيث الحرية والنور ،
وسبيلاً تتدلع من جوانبه التيار وتأتي على ما فيهه لتحول نوراً
يكشف عن تطور المستقبل ، ذلك هو سبيل الثورة الذي يتحصر
سبلاً ويقسم تطور الامم .^١ وذلك ما فعلته الثورة الافرونية في
التاريخ .

اما الحديث عن هذين الشخصين ومسا دار بينهما من حوار
ونقاش ، فلعلني احدث به الى القارى . في مناسبة ثانية فانقل
اليه بعض ما غلكنني من هذا السحر الغني الذي تضمنه ذلك
المقطع من كتاب « البؤساء »

فلك طرزي — ومشي

كل ما من شأنه الاخلال بنظمها وقواعدهما . فلانسان شخصيتان :
شخصية مستقلة تكنس في دحية ذاته . وشخصية اجتماعية
عامة ، هي الشخصية التي تتصل بالجماعة وتتغافم معها ، وتحمض لما
يخضعون اليه من أنظمة وقوانين . ومعظم عمل الانسان في الحياة
قام على التوفيق بين هاتين الشخصيتين ، وخلق الصلات بينهما .

وان قال آرسطو ان عقلية الانسان ووجهة نظره يختلفان
باختلاف الاوضاع الاجتماعية والسياسية والبيئة والزمن ؟ فهو يبر
بقوله هذا من حقيقة خالدة لم تستطع احدث نظريات العلم والاجتماع
ان تزل منها بل جميع هذه النظريات جاءت بتأييدها وقرارها .
ولعل الثورة الاقتصادية التي عقيت الاكتشافات العلمية ، والتطورات
الجغرافية والتقدم الصناعي ، هذا التقدم الذي احدث انقلاباً في
كافة نواحي الحياة ، سواء في حياة الامم الداخلية أم في علاقاتها
الخارجية بعضها مع بعض ، لعل هذه الثورة كانت اكبر دماء
تأييد نظرية العلم الاول في التطور . فالاعراض بالتحول ، وتوخي
الحقائق البشرية الخالدة ، ثم مزجها بالمثل العليا المختلفة ، كل هذا
يصل المفكر بكل نفس ، ويحمله حياً على **الوجود** .

فعمل المفكر اذن هو التوفيق بين المثل العليا على **الوفاق** ،
بينما ينحصر عمل السياسي ورجل الدولة احياناً في تكيف عمله
حسب الواقع . حتى اعنف الاراء السياسية تتخذ طابعاً من السمو
والجمال يعول بها من مشا كل الحزبية وعصانيتها ، عند ما يعالجها
المفكر الحر بالبحث والتحليل . ثم ان رجل السياسة يدين في
معظم الاحيان المفكرين والشعراء بتسجيل وتحليل ما قام به
خلال حياته من عمل وما كثر من مذهب . ومثالنا البارز على هذا
الامر ، هو صلة المتنبي بسيف الدولة وما نتج عن هذه الصلة من
النتائج التي كان لها اثرها العظيم في طبع انتاج شاعرنا التكبير بطابع
خاص . فلا يذكر اسم هذا الامير العربي الا مقروفاً باسم المتنبي ،
بل كثيراً ما تهز شخصية سيف الدولة وتوضح من خلال
شخصية المتنبي . . .

وان خضع المفكر في مختلف اطوار حياته لكل ما يخضع
اليه الانسان من اهواء وتزعزعات فبر في تفكيره لا يكون غالباً الا

ضاحل وستابل

إنا عبيدك ، واثت عبيد خيري ، وخيري عبد غيره ، إذا فكنا عبيد !
الفرقة تستمر بالفرق ، والفعل والجال يستمران بالإحترام !
الأيام ، والأذل غريزتان : فلا تجرب لمن يحمل من الأبي ذليلاً ومن
الذليل أيدياً !

مات سعداً فقدموا لتفريحه أكيل زهر بألف ليرة ، وطلب منهم
ليرة واحدة في حياته فأعرضوا عنه : أليس هذا تنازع البلاء ، وتكالب
البشر ، وقد نادى الحب للجرء ؟
لا فرق بين الكرم والبخل : لأن لذة البخل بجزء المال تساوي
لذة الكرم بصره !
تجوع فتنب الطعام ، وتشيخ فتكرهه : لذلك نهنن مكارون
لكل جميل !

لا تقهر من ليس له إمداء !
جال الطالوس خلاصة قبح الغرباء !
المسألة لا يقع بين اثنين مفردين ، وإذا وقع فتكون جرثومة
الأولى وجود ثالث !
ما هذا الكون الذي كتب الجحيم لسائق الدجاجة ، والتميم لسائق
اللابين ؟

قال أحدهم : مات الحق ! فقلت له : متى وُلدَ ليسوت ؟
كل الجيوب الموجودة في البشر موجودة فيك : فتنمى الفلسفة إن
تتعد نفسك تنسب كل البشر !
سمعت شاعراً يري ، فقلت : رحمة الله على الكلب !
الظاهر يدمع حب الظهور وحب الظهور متطرف !
لا يوجد الكون طاهر الخلق إن تكون حارية فحمرت هذه النعمة ،
وظلت تلك إلى اليوم يروها كاستار !

لما بلغت الفلسفة أبعاد طموحي إلى الفصح !
البشر يجرؤون تيار الدادة والصلب ، والعادة والصلب عدواً ! الحق !
عدم الصراحة أروع البشرية ألف قرن إلى الوراء ، في كل يوم !
للساواة كلمة خيالية لنظما قوي تنسلك بها الضعفاء !
الحسن أمام الناس طالب عطية أمام الناس ، والحسن أمام نفسه
طالب عطية أمام نفسه !

الناس يتوصون بالذئال ويبتغون بالفضائل !
رايت بشراً يقول يد آخر ، فقلت : هذا صاحب تلؤذ ، وذلك محتاج !
من لم يكن من البشر فيسوقاً كان حلاً محلاً !
اصحاب الشهرة ما كل طيبة يتراحم عليها الصالحون هل الشهرة !
إن شجرة الانتماء كانت في كل قس ، والهوعد المائدة أفضع انتعاش
حرفته البشرية !

إذا قوي الضيف نسي الذين ساعدوه في غنته واحترام !
إن صاحب الأحاسيس الناعم يصيب في تصوره إلى درجة لفظاً الفادح !
لا تحلب غداً لغروف تروية ، لأن كبرياءك دفعت لك هذا الثمن
معد الأتدية !

الرم عدو المواهب !
الاحتاج بين العبري والمجيب به مرء حديد بأكل درحات المتبرية !
منذ البدء والفتر يتشرون المواضع ، ومنذ البدء إلى اليوم لم يتسط أحد !

وليم صعب

ليس للسكين ذلك الذي يسقط يده ليستجدي أكف المحسنين ،
إنما للسكين ذلك الذي لا يمكن من بسط يده مستجدياً - وهو
الاحتاج - فإذا كنت إنسانياً ، فتام بخالة هذا ، ولا تشكر بذلك !
لم تجرم الطبيعة أكثر مما أجمرت على صانع فران جانغ وعادم
خياط عريان !

ما أحلى الأسد الذي يحكم الحمار على مقدمته أو ضفئه !
كل إلى النفس شجاع ، والفرق بين بطل وبطل ذئبة صفور !
لا تمن الظلام لأنه أبو التور !
لا تدع صداقة من لا يخلق له قلبك مرتشاً !
الصداقة كلمة يشل بها البشر حتى لا يضجروا من الوقت الممتد بين
الهد والهد !

وراء كل حركة من كل إنسان غاية ومأرب !
الأخاء وتنازع البلاء لا يستعان !
وجود النفس علم الجزار الشجاعة !
ما أسخف من يريد أن يشري قلباً صديق قول !
لا فرق في شرع الخلود بين المزايا : فكما الشيء حاتم بكرم الشجر
الخطبة بخت !

كل مخلوق مستعبر ومستمر من آدم إلى (الكلمة) !
الفتاة بنت الحجر !
لا فرق في شربة النافع بين علم الشر وعلم الخير !
الحياة مبرنة تنتهي على باب اللعن !
لولا الخوف لكان كل شري سارقاً وزانياً وسفاك دماً ، في وقت واحد !
قصة الدتب والحمل على مجرى الماء تنشئ في كل زمان ومكان !
البشر سألوا القوسعة حتى في ملكة البلاء !

لا فضل لمن ينفع البشر : لأن لذته في خدمتهم تفوق لذة من يخدمهم
وتخلق له السيطرة عليهم !
الشهرة قتل لصاحبها في الحياة ، وحياة له في المئات !
شجاعة منكرة وككرم حاتم ذوباً كال شجاعة وكل كرم في كل بشري
طهر بهما !

يجب الناس بعضهم للأرب شخصية ، وأشرف تلك للأرب اللذة
الروحية للابتدأة ، وهي أشرف الحب ومتنعي الحب !
يحب الأرواح بعضها إلى بعض سلك غريب عجول !
كثيرون من الذين يضيئون من النحاس ، ولكن الذين يضيئون من
خنازير قتال ، فلا تضع يدك إلا يد من ينجيل من ضمه !
إنا ، اليوم ، ابن آس ، وغداً ابن اليوم !
أكلت اللحم في الفرج فلم أشبع ، وأكلت الخبز اليابس في الشيق
فأفحمت ، فهل أعتبر ؟
الوفاء ابن الكبرياء وحب الذات !
ليس في الأرض ولقاء واحد مستقل الأفراد واحد : هو الله !

من الادارة



- ١ - ثمن الجزء ٥٠ غ. ل.
- ٢ - بدل الاشتراك لسوريا ولبنان ٦ ليرات لبنانية
- ٣ - لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدونها شهر كانون الثاني (يناير)
- ٤ - بدل الاشتراك للخارج عموماً جنيه مصري. وبمضي هذا الاشتراك صاحبه الحق في الحصول مجاناً على منشورات الاديب التي تصدر خلال السنة
- ٥ - يدفع بدل الاشتراك مقدماً ولا ينتظر الى اي طلب غير مصحوب بالتحال
- ٦ - احتفظت الادارة ببعض اعداد من السنة الاولى (ما عدا الجزء الاول والثاني) فمن ينقصه شي منها يمكنه ان يطلبها من الادارة .
- ٧ - الادارة مستعدة لشراء أي جزء من اعداد السنة الاولى وتدفق ثمنه ٧٥ غرشاً لبنانياً إذا كان بحالة جيدة .
- ٨ - كل المقالات والابحاث التي ترسل الى «الاديب» لا ترسل الى اصحابها سواء نشرت أو لم تنشر
- ٩ - توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي : مجلة «الاديب» صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت لبنان .

ظماً



اشرب حتى يمدّ الكون
وتحتلج زفرة الابد العابت
وتنتهي الصلاة في الميكل العظيم
وتشيخ الودعة الميخا
ويؤرق العلم الماهر
ويخشع القدر للأزل الصامد
وترفّ المنى حول المنى
في رقصة الحوالك
أشرب حتى تتلاشى الكأس
في النفس الاخير

البراديب

الوجوه البشرية

كلها فبعضها ، اي انه اذا لم يقو على اصلاح ما افسدته الايام فهو قادر على الاقل ان يستر تأثيراته متكلفاً بالانقسام في حالة الحزن ، والبوسة لدى الفرح كما يفعل الممثل على الملمب او كما يجري ايام الاعياد والمراقع بايضع الناس على وجوههم من الالقنة . يحق للانسان ان يمار على مكونات نفسه فلا يبيع جاهها لاي كان ولا يدع للفضولي سبيلاً الى الاطسلاع عليها ولكن ان يكون القناع للروا . والكذب والخذاع فهذا ما لا يتفق والسانية من المجتمع الانساني ، ان لغة النطق التي يتعامل بها الناس اختلا لا تقل عنها اللحية هي تلك اللغة الصامتة التي تقوم على الملامح والنظرات **واذا كان لا بد من قناع فلاخفاء الكتابة والمثل التي تمت على نفور الناس .** وتحيلهم يستقلون وجودك بينهم . وعلى الانسان ان يكون ذا فراقه ليعرف الصريح من القناع فلا يؤخذ بمجائل المتناقض ولا تترقب عنه تماسا الصادقين فيطير الى حاجتهم وما الفائدة من رجل لا يهتم بغيره ولا يسمي ان يعرف ما به من الموشقاء .

ولا بدن شكوى الى ذي مروءة . يواسيك او يسلبك او يترجع على كل حال فالباشاشة لازمة للوجه معها تكون الحالة النفسية لان لها منافع كثيرة فهي توحى الصبر والشجاعة والامل وتخلق من حواك جواً طاراً وفي هذا تغذية لك اما الكتابة وانكشاش الاسرة فهي تؤذي صاحبها وتؤذي من حوله ولا ازال اذكر حادثه من هذا القليل فقد رافقتي في القطار يوماً رجل غريب كانت ظواهره كلها تدل على عراك عنيف في نفسه فاسترني منظره وسكوته وبث طوال تلك السفرة مأخوذاً باضطراب خفي لا اعرف ما هو واحسست بحرقه من حولي ورافقتي هذا الشعور اياماً فبدأ كل عمل ان باشاشة الوجه تريد في حسنه لان الحسن نسي وكمن الذين لم يقسم لهم حظ كبير من الجال ويعرفون ان يجدوا سبيلاً الى القلوب فاذا نظروا اليك او حادثوك تجلبت روحهم في حركاتهم

اقول الوجوه بصيغة الجمع لان لكل فرد من الناس وجهاً خاصاً يختلف به عن سواه اختلافاً كبيراً او يسيراً . وقلاً يتفق لهم . ان يجد وجهين متشابهين كل التشابه الا عند التوائم . قال الشاعر :

لنا نحن في اختلاف عقول مشا نحن في اختلاف وجوه
وهذا الاختلاف لا ينحصر بعمر من الاعمار او شعب من الشعوب ولهذا كان الوجه اصدق طابع يجمله الانسان للدلالة على شخصيته كما انه غير مرآة تعطيك صورة عمن حالات النفس وتأثيراتها . قد يؤخذ رسم الوجه بالتصوير الشمسي او بريشة الصانع بظاهر فينقل بدقة ملامح العين والانف والفم ولكنه لا يقبض على حركات النفس كلها ولا يثل من الحياة الداخلية الا لحظة قصيرة فتبقى الصورة جامدة بينما الوجه يبدل من دقيقة الى اخرى بما يترادى فيه من اشباح الدوافع والاحاساس . ان زيدا الباكى غير زيد الضاحك على انه يسكي ويضحك بوجه واحد . وبين الرضى والغضب والوجل والحبل حالات شتى ينتقل فيها الوجه من الاحمرار الى الاصفرار ومن الصفاء الى الكدورة عاكساً في مرآته ما يمر في النفس من مختلف الحواطر ، فهو كآلة التعرف او البق بل اغرب منها لانك تجد فيه اشكالاً من الاشارات والعلام والمرموز لا تجدها في الآلة

وليست حركات النفس من سرور وكسود هي التي تؤثر وحدها في الوجه فان هذه الصفحة التي تكون بيضاء في بداية الحياة لا تلبث الايام ان تحط فيها رسوماً ، وكلها مرصاح وكوت عشية تركت اثرأ حول العين والشفاه وفوق الجبين والحدود فتبدو على الحيا آثار الالم والحنية والتعب كأنها ندوب جراح قديمة حتى يظهر الوجه احياناً كأنه من المخطوطات البالية تتردد فيها خيالات الماضي وقد كراته .

من الناس من يستطيع اخفاء دلائله الحقيقية ، ان لم يكن

وأشاراتهم ونظراتهم فسارت عيوب الوجه وخطت عليهم برداً
من الجلال تشيياً .

وقد كان لوجهه حظ من كلام العرب وامثالهم فقبل الدنيا
اتلب وجوهه أي هذا بيت عتبت سمد ، وهذا رجل وجهه خير .
وقيل وجهه المهر اقبح . ويقولون بيض الله وجهه لمن اتى امرأ
يمجد عليه ، قال الشاعر مادحاً :

بيض الوجه كرمية احسابهم شم الانوف من الطراز الاول
وقال ابن الرومي :

وقل من صنعت خيراً طوبته الا وفي وجهه الخير عنوان
له محيا جميل يستدل به على جميل وللبلدان ظهوران
وتنزل العرب بالوجه يقوم اكثره على تشبيهه بالشمس والقمر .

قال الواحد :

رأيت الهلال على وجهه فلم ادر ايها انور

وقال الآخر :

نظرت الى من زين الله وجهه فيا نظرة كادت على عاشق تقضي
وكبرت عشرا ثم قلت لصاحبي متى زلّ البوار البير الى الارض
وقال غيره :

رأيت الهلال ووجهه الحبيب فكانا هلالين عند المنظر
فلم ادر في حيرتي فيها هلال الدجى من هلال البشر
فسلوا التورد في الوجتين وما راعني من سواد الشعر
لكنت اظن الهلال الحبيب وكنت اظن الحبيب القمر

وقال ابن المعتز :

يا مفردا في الحسن والشكل من دل عينيك على قتلي
البدن من شمس الضحى نوره والشمس من وجهك تستلي

وقال ابو نواس يصف صفاء الوجه ورقة البشرة :

نظرت الى وجهه نظرة فابصرت وجهي في وجهه
وقال آخر :

راق ما الحياة من وجنتيه فهو مرآة في اوجه المشاك

والذي يسمع هذا البيت :

واستمرت لؤلؤاً من رُجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالهد

يخيل اليه ان وجه الانسان حديقة من حداثق الجنان
فيها من كل فاكهة زوجان

ان الكلام عن وجوه البشر يسوقنا الى الكلام عن وجوه
اخرى هي بشرية ايضا غير انها لا تنقيد بالمادة ولا ترتبط بالهضم
والدم - تلك هي الصور الادبية التي تقص لنا حياة الناس وامعالمهم .
يمكنكم ان تروا رجلاً عظيماً ككثرشل او روزفلت او ستاين
لانهم من المعاصرين ولكن اوميرس والاسكندر وفلاطون ومن
على شاكلتهم اين تستطيعون ان تروهم وكيف السبل الى التعرف
اليهم ان لم يكن بصورتهم الادبية - هذا هو وجههم الحقيقي
الذي يرسمه لنا التاريخ - قد يخطئ المؤرخ صكبا يخطئ المورد
فيأتي الرسم ناقصاً او مشوهاً واذا امكن اصلاح رسم المصور في
حينه فرسم التاريخ يستعمل اصلاحه بعد انقطاع العهد ولهذا كان
من الواجب على المؤرخ الامانة والدقة فلا يلبس الحقيقة غير لباسها
وكيف الكتب والنقاد في عصرنا هذا من لا يتقيد بهذه الشروط
فاذا كتب ار انتقد جار عن قصد السبيل وجعل بين الصورة الادبية
والحقيقة بوناً عظيماً - رأيت في باريس جملة من المراتي المعروضة في
المقاهي والكافيهات تلبسها الناس فهذه مرآة محدبة وهذه مقبرة تلك
مستطيلة او بيضاوية الشكل فاذا نظر اليها الانسان ارتد وجهه
مستديراً كقالب الجبن او مسطحاً « كالبنادورة » او مستطليلاً
كالشمع او مقلطاً تبدو فيه العيائن كالمنطور والشم كشق يتدمن
الاذن الى الاذن هذه المراتي التي تشرع لاملح الوجه هي كالكتائب
الذين يشوهون باقلامهم كل ما يرون - فاني ، الله في الحقيقة ايها
الناس وحسب المرء ما يثاله من اذى الايام في وجهه المادي لتزيدوا
عليه في صورته الادبية - ان وجوه البشر ستغني وكل الصور المختلفة
الالوان الملقة في المتاحف والتبيل المنصوبة في الساحات السومية
ستلتي باصعابها تحت الثرى فاذا هي حاجهم خرساء متشابهة لما
الوجوه الادبية فهي ميراث الصور الخالد ، مقامها في جدار القلوب
وساحات الضمائر ، تردد حديث الزمن العابر وتنتقل خيرة الماضي
الى الحاضر .



مركب الحياة

عبد المتكف - القاهرة

لأن ثلاثون قصة من آداب عالمية شتى، ومن أزمشة متفاوتة، تتجمع على اختلاف ألوانها وتباين عيائها لتشكل طابعاً واحداً هو طابع الفكر الانساني الذي يبالغ تصوير النفس البشرية في «مركب الحياة». هذا هو الكتاب الذي اختارته مجلة المتكف هدية لقرائنا لسنة ١٩٤٢ نقد جمعت بعض ما تفرق من القصص على صفحاتها في كتاب وقدمته لمارى. متاعاً وساو، وترعة طويلة بين مذاهب التأليف القصصى في العالم، منذ القرن الثامن عشر الى الآن.

وتبدأ هذه القصة الثلاثينية خلال القصص «منذ الوقت الذي حاولت فيه القصة» مع بقية القرون الادبية، تتجرد من عبودية الاستقراطية عندما كانت غاية القصص تسلية الملوك وتقييداً للإعلاء. وبعد ان سررت القرون الادبية في عهد العصر الفكتوري في انكشافها للتعبير إلى الشعب بما هو مرغوب عند الجماهير كالاخلاق والذمة والفضيل وبالاستطاح القومية الخيالية في التعبير، انتقلت هذه القرون الى عصر جديد مشرق زينت فيه الامم البشرية عن «عقائ الحياة» فتحدثت القصص عن القديسين، البشريات وما يتألفها من آمال وآلام، آمال الفرد وطموحه، وآلام البساي الحزين معها كأن تائه.

عني الادب بالقرود وتحليل ومراقبة وببهره، غير ان هذا التحليل وإن كان في الاصل واحداً، تختلف مظاهره باختلاف البيئات وتقدم الزمن، فتجلى للنفس البشرية بدءاً اولاً فلسفياً ككبار أبقراط في قصة ألتيسوس، لافونير، عندما ينادي في قصته بقرية العقل ويتحدث عن استجابة الناس للكمال في الحكمة والنوة والقدرة والسعادة.

وتفرغ علم النفس وأصبحت له إبراهيم العلمية وموضوعاته الخاصة، وإيند رويداً «ويداً» عن الفلسفة حتى اقتضت عنها، واتخذة للمؤلفون أداة يخلون بها للنفس البشرية ويهيمون بها على ضوء علمي، الى ان ظهرت «القصص السيكلوجية» في الادب الحديث وتنتهج صراحة التحليل السيكلوجي وجزراً في قصة «غرور الوم» لتوماس هاردي فبقيا تصوير متعمق عن جهاد النفس عندما يتيب املها في شيء عزيز لديها، وعن استبداد كثير من الامم بدموع يقول بعض الضعفاء حتى يثدروا طيهم الافلاطون منها. وقد أصبحت الفكرة السيكلوجية لازمة للقصص الحديثة فهي وصف للرغبات النفسية وتحقيق للصلة الوثيقة بين الماضي والحاضر والمستقبل.

وقد رافق هذا النوع من تناول للنفس البشرية اهداف خاصة تقوم بها القصة فتدافع عن فكرة معينة، اجتماعية او انسانية، فالقصة كما انها في اعتبارها بأشد مظاهر الحياة الانسانية تنامة، وفي دراستها لآلام الساذجين واللبالين كما تدرسها في تقوس الوجوه، والمتنعت، تؤدي ولبها انسانية

وتقوم بقصة فكرة نبيلة، فأما كذلك فتناول هذا الهدف الاجتماعي للصدود وتدور حوله حتى تخلصه بحياً الناس قريباً منهم. ويكثر هذا النوع من القصص في ما يكتبه الروس، قصة أسرحدون وتولستوي وقصة الرهان لتشيكوف ثورتان في وجهه البودية والبلدان والجاه، ومن هذا النوع أيضاً قصة «وكانت الذئاب تنوي» لحسين جاهد التركي في دفاعه المجدد عن الحرية الانسانية.

والاساطير قسما التي كانت قديماً بعيدة عن الحياة الواقعية اعلمت الآن في قصص كبار الكتاب لتؤدي أفكاراً انسانية بحتة ولتوضح مشاكل اجتماعية، ففي اسطورة «راجل امام الله» يصف اسحق زفيج مثلاً رائعاً من امثلة التضحية عندما تزول البحيرة من على راحيل تجاه اقوى مشير لهذه النبرة وعندما يحاول اثر الماشي في الحاضر. ويتخذ كادرون اسطورة بيايولون وسيلة لتلايح، مشكلة الخيال الانساني الذي لا بد ان يزول بعد زمن قصير او طويل. . . وسيلة لتلايح، مشكلة الحياة التي لا يجد الفنان سبيلاً الى التخلص منها، مما كان ناجحاً في قته. وفي اسطورة «جنة المايزه» لماريولر القندي، مملكة الشر والخير وابها أكثر تقبلاً لدى الانسان، وتصور املة المرأة بالزينة والتشلي.

والقصة الحديثة التي وجدت مادة طريفة في حياة الدهماء والسذج، والمبذرم في الواقع الخيال كبار، عبت بالاضلال الصادر الذين تحفل حياتهم بالمشاكل المعقدة العريضة والفرار الانسانية التي لم تلوثها الحياة بظلمة، وسفاهة، وفي كل ذلك مساعدة على فهم الطبع الانساني عارياً بمرور، وفي «جوهامات المحبة» لا سكار وابلد، حديث رائع عن الطفل للرح البري.

وفي هذا الكتاب قسم كبير للقصص العرية وإن شئت، للقصص العصرية لانه لم يتم قصصاً لكتاب غير مصريين ويشير القارى. لهذا القسم بالتطور القصصى في مصر، منذ الحرب العالمية الاولى شعوراً واضحاً، فن الثابة العقلية والاسلوب البليغ، وتتميز سير القصة في توليد الخيال وإعترافها الخيالي. . . عند الرافعي، الى انقسام العلم وفطرها لتفريها الى فهم القصاري، مثل الكلام عن الانسواء، والاعمال، الجانم ومشكلة ادمان الكوكبين، في قصص يعقوب مروف. . .

حتى اصل الى القصة الثانية عند محمود تيمور في «الجنات» تلك القصة التي تعالج أزمة بين شخص وبين دبة عشية في بحران من بحران القاهرة، ثم تنبع الحياة هذه الدبة الى ان قوت. . . وحتى اصل الى بشر فارس، حيث القصة الرمزية.

وان كانت المسرحية قد هضم حلقها، فلم نجد لها مكاناً بين انواع القصص المختلفة في مركب الحياة، فلا شك ان المتكف حين يقوم مسح قارئه هذه القصة الكثرية الممتدة بين روائع القصص العالمية، وبين ازدهار شتى من قصص عرية، بدله على غير صور التطور المتكف الادبي منذ سنة ١٩٠١، هذا التطور الذي كان عاملاً قريباً في رقي الادب العربي الحديث.

وعمة الاديب، اذ تشكر المتكف على هديتها، ترجموا بطرد هذا التطور في سبيل العلم والادب.

ازهار الذكري

للاستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرى - القاهرة

لنسة ندم الى الطفل ، قيتل بأحد واليو الذي يمش فيه فلا يبيه ان يتابع النسة بجلاله لانه هو بطل النسة وهو مؤثر في حوادتها .

علم العربية

للاستاذ رامي رامي - بيروت

هذا كتاب مدرسي وضعه الاستاذ رامي رامي في اربعة اجزاء ، صدر منها الجزء الاول ، وقد اراد مؤلف هذا الكتاب ان يميل تعلم اللغة العربية قريب التناول ، مشوقاً الطالب ، فوضع كتابه على اسلوب حديث سهل .

ويقسم المؤلف كل جزء من اجزائه الى اربعة اقسام : القسم الاول « الامواتية » (والصحيح الصوتية لان النسبة تؤخذ من اللزوم) ويريد بها ذلك القسم الذي يدرس فيه الطالب لفظ الكلمة وكذا بنائها الصريحة . والقسم الثاني اوزان الكلمة اي تركيبها الحرفي . والقسم الثالث الحرف ، والقسم الرابع النحو .

وهو خطوة حميدة في سبيل تبسيط دراسة الفواعد العربية وتقديمها الى الطالب الابتدائي على احوال طرية وايسر اسلوب .

مجلة الجمعية اللبنانية للمهندسين - بيروت

تتصل جمعية المهندسين اللبنانية على توثيق الروابط بين الفئتين بتعميد اسباب الاتصال ومبادلة الاراء ، فيما بينهم ، وتوسيع في سبيل اعلا شأن الفعالة اللبنانية وتحسين حالة المهندسين وساعدتهم في الظروف الاستثنائية وتوسيع انتشار العلم الفني والتعلم ، والتجارب العلمية المبني على اساس فني ، وتداول من مصالح جهة المهندسين المادية والمعنوية .

ومن وسائل تحقيق هذه الاهداف اذاعة مجلة تكون لسان حال الجمعية ومسرحة لآراء اعضائها ، فصدر العدد الاول من هذه المجلة حافلاً بالموضوعات التي تهم المهندسين ، والانظمة والقوانين التي تتعلق بالجمعية ، فيعرض بهذه المجلة اجل ترحيب راجين لها التوفيق في مهتها .

المنايا في طربس الانوار

تحية العرب الى الشعوب التي حلت السلاح على المنايا

صدر في كراس احضاننا للذات انعمها الاستاذ فرج المخلوف والاستاذ خالد بكداش ، في بيروت ، في مناسبة الاحتفال بالذكرى اثناء الجيش الاسمر . وتطلب على كتابة الاستاذ المخلوف صيغة منظمية ولهجة هادئة . اما اسلوب الاستاذ بكداش فمرفوف بناديه وقوفه . ولا شك ان في مادة هذا الكراس ما يكافي كل من يتألمه .

اصناف النجفي في « الصباح »

توالي زيارتنا « الصباح » جهودها في سبيل خدمة الادب والافوض به في دمشق ، فقد خصصت عددها الاخير (٣٩ اذار سنة ١٩٨٣) لدراسة تحليلية عن الشاعر الكبير احمد الصافي النجفي قديماً الاستاذ فؤاد الشايب ، وافاض فيها عن اطوار حياة الشاعر ومزاجه والاشعار المختلفة التي وجته في شعره ، والخصائص التي اقردها الشاعر . وقد تحلل هذه الدراسة بعض النماذج من شعر الصافي الجديد .

خطرات من احداث الحياة ونعجات من تأملات الطبيعة ، نظمها المحامي الاستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرى في باقة شعرية وقدمها تحت عنوان « ازهار الذكري » وقد اختجها بتدبير بارع الدكتور احمد زكي ابوشادي . فعمل الديوان تحليل قارى . موجب اشد الاعجاب بعصائد « السحرى » . وكان مما لاحظته ان المؤلف شاعر مفكر ذو رسالة رفيعة هي رسالة الانسانية التي يؤمن بها ايماناً عميقاً ، يدل على ذلك الشعر الانساني الذي يتلى به الديوان .

ويجلس في شره التالك السحرى على الطبيعة في سحابة لطيفة يولاهك ان العطف الانساني مرافق غالباً للتلق بروح الطبيعة .

ويتناول السحرى روح الاصلاح الاجتماعي والذي تاولاً شعراً وبذلك من آثار روحه الانسانية ، ويضع ذلك في قصائده : الراية العذراء ، والذكار . وهو في قصائده « كتاب الطريق ، والفريز ، واين الام ، ووحيدة ، شديد العطف على الضعفاء ، واليتامى .

ويضم هذا الديوان شعراً وطنياً يهدى عن التسلي والاثانية — لانه ثون من شره الانساني — وصفاً ساعطاً على مظاهر الرذيلة في بيته .

وقصائده كلها مفهومات قصيرة يتخللها بعض القصائد التي لا تتنيد بغاية واحدة ولا تعتمد على الوزن الموسيقي المؤلف .

وديون ازهار الذكري — كما يقول الدكتور ابوشادي — صفات علوية سلة سائلة لما برادة الطفولة ، واختيلها الجميلة وحلاها الانجريد .

نبرع الطوفان

للاستاذة خليل هنداري ، عبدالوهاب المجيلي ولطيفي الصقال

شعر بعض الادباء ، في مدينة حلب بالنسبة الذي يترى القصص المدرسية حتى تيمد الطفل عنها ، لانه لا يجد فيها ما يجذبه الى قرائتها او يجيبه الى الاطلاع عليها ، ومن هنا التفتوا الى محاولة ايجاد « قصص للطفل » تتنازل بالسهولة لتسحب الطفل اليها ، وتحمله بالترغيب ووسائل التشويق ، على المطالعة وحسب الكتب .

وقد جعلوا هذه السلسلة ثلاث حلقات ، استل كل استاذ من المؤلفين بجله فمقتناول الاستاذ خليل هنداري الحلقة الاولى ، والاستاذ عبدالوهاب المجيلي الحلقة الثانية ، والاستاذ لطيفي الصقال الحلقة الثالثة .

وبين بدنيا الان جزء من الحلقة الثانية تدور قصته عن حياة عميد (ص) مرسوة عرضاً قريباً تتوالى ، بأسلوب يليق .

على ان الكتاب قد يلو عن مسدراك الطفل في اسلوبه فيورد بعض المبادرات التي يسطر العقل ان يتدبر عن منهاها ، فتترقه عن متابعة الفعالة مثل قوله « تدفع نغم غائقة الجوع وعادة الشفاء » ، او قد يصرف احياناً الى وصف الطبيعة وصفاً يحمل الطفل في قصة غائبة التبرج من شعر الطفل . وهذه الملاحظات يزيد من قيمتها اما صدرت من لسان طفل قدما له هذه الفعالة ليعرفها .

ونرجو من المؤلفين ان يتابعوا عملهم في هذا المشروع القيم ، وان لا ينسوا حياة الطفل اللبينة ، وما فيها من حوادث غنية تكون لعمادة وفيرة

مَجَلُّ الْأَحْدَاثِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْحَرْبِيَّةِ فِي شَهْرِ

نوبورك ١ - آذار - أبسط الثام عن خبر انتاج سلاح جديد لتدمير الدبابات اخرجته مصانع «الجنرال موتورز» ويعد أقوى ما عرف من السلاح حتى الآن ويسمونه «طراد بري» أطلق عليها رمز (١-٢)

واشنطن ٢ - مسرح مدير الادارة والتأجير في مجلس الشيوخ بأنه خلال المدة بين ١١ آذار سنة ١٩٤١ و٣١ كانون الثاني سنة ١٩٤٢ قد ارسلت الولايات الاميركية المتحدة الى الخارج بما قيمته ٨٦٣٥ مليوناً من الدولارات . مكسيكو - تصارع قريباً بينه عسكري مكسيكية الى شالي افريقيا عن طريق البرازيل وكلا وسيحقق مراقبون عسكريون بالبحش الثامن وبالغوات للتعاونة في تونس .

واشنطن ٣ - اذاعت وزارة الحربية بان عدد الرنوج الذين يصلون الان في جيشنا بلغ ٥٥٠ الف رجل منهم ستون الف خارج الولايات المتحدة . بمباي - اتهمت ٢١ يرمياً في صامبا غاندي وكان اول طعام اعطى له عصير الليمون ، واذيع بلاغ في نيودهي جاء فيه انه على اثر انتهاء الصيام يمكن استئناف الاجراءات المتعلقة باغتاله . القاهرة - زارت الجنة العسكرية التركية التي تقوم بزيارة مصر بنا . على دعوة السلطات البريطانية منطقة السنين .

واشنطن ٤ - مسرح المستر ستر وزير بان اميركا لا تنوي مطلقاً ان تضمن انفسها قواعد داتنة في شالي افريقيا كما يزعم للحموريين . نوبورك ٥ - كتب بريندكس يقول ان الانتصار العظيم الذي احرزته - لاج الطيران الاميركي في غينيا الجديدة الذي يسلم مع الجنرال مساك لارتر احدث اوجاجاً كبيراً لدى الاميركيين وهم على صواب بالاعجاب لان الولايات المتحدة لم تبدأ في اعداد البعثة جديداً الا في العام ١٩٤٠ .

لندن ٦ - وصلت الى انكلترا قاذفات قابل متفحة صنعت في الولايات المتحدة لتزير السلاح الجوي السابع للاسطول البريطاني ولا يزال طراز هذه الطائرات من الاسرار ولكن الراجح انها ستكون من الانواع الخاصة لعمليات القزو المتطورة . استمبول - روى احد القاديين من ايطاليا ان موسولين اعد اسطولا من البواخر والوزاري الصغيرة لجعلها مجموع كل جزيرة صغيرة في المالة التي لا يغوى فيها المحور على الصعود في هذه الجزيرة اقترع ٨ - عدد المجلس الوطني الكبير اجتهاد الاول بدأ الانتخابات الاخيرة ، فاعاد انتخاب عبد الحفيظ رداً رئيساً للمجلس وانتخب المجلس أيضاً عصمت اينونو رئيساً للجمهورية باجاء ٣٥ صوتاً وهذه المرة الثالثة التي يباد فيها انتخاب الرئاسة ، وقد رفع السيد سراج اوغلو استقالة الوزارة الى رئيس الجمهورية فهد اليه بتأليفها من جديد .

موسكو ٩ - بواصل للارشيال بيوشنكر مجيره الديني في بحيرة ايلسن وتتقدم القوات الروسية باطراد في مختلف القطاعات رغم حشد الالان قوات جوية وبرية كبيرة توقف الحرف الروسي

لندن ١٠ - ابلغ المراسل العام لفرنسا المقاتلة ان طيحين قريتين قتلوا ٣٣ مسلحاً المائتين خلال هجوم على كاريو «ليل» وانسحبوا دون اضرار وحصدت معركة عنيفة في شوارع باريس بين المقاتلة الالان وبين الوطنيين الفرنسيين . موسكو - تدوم في جميع اغناء الاتحاد السوفياتي حركة شعبية اساعدة سكان المناطق الروسية المحررة ، ويدي الشعب السوفياتي مسلحاً كليل على مساعدة المقاتلة الذين نكبوا بالنازية .

لندن ١١ - الى لورد برايتون خطاباً في ميدان الشرف الاخر بلندن بمناسبة حمة «اجتعة النصر» قال فيه اذا وجب علينا ان ننزو اوربا فينبغي لنا ان غلاً انقى الساء الطائرات والتي لا تل ان تخلي مسارات الهادة قريباً بالطائرات البريطانية والاميركية . واشنطن - اكد المستر ستر وز في مجلس النواب الاميركي ان اسيايا اعطت لكل من الحكومتين انكلترا واميركا تأكيداً قاطعاً بان ما يدخل الى اسيايا من البترول ان يخرج منها

لندن ١٢ - مسرح المستر ستانيسلوس مدير الادارة والتأجير في اميركا بان النسبة المثوية التي وزعت فيها المواد التابعة لهذا المشروع كانت كما يلي : بريطانيا ٣٨ ، اوستراليا والمحيط الهادى ١٤ ، افريقيا ١٥ ، روسيا ٢٨ ، الاماكن الاخرى ٤ بالمئة .

لندن ١٣ - علمت وكالة الانباء اليجيكية ان الالان اندردوا الاحالي في القرى الواقعة على الساحل اليجيكي ان يكونوا على استعداد لاخلال قراهم ونمازهم في مدة لا تتجاوز الساعة في حالة الطوارئ ، كحالة انزال الجيوش الخفيفة في الاراضي الارادية .

لندن ١٤ - اعان السكرتير البرلاني لوزارة البحرية البريطانية رداً على سؤال وجه اليه في مجلس العموم ان مجموع ما غصره المحرور من السفن منذ بداية الحرب الحاصلة هو ٣ بواخر حربية وبارجة حبيب وست حملات للطائرات و٣١ طراداً و١٥٣ مدمرة وقارب طلويد واربعة سنان هجوم

و١٥٥ من السفن الحربية الاخرى منها تسع كساجتات النام ، ولا يدخل في هذه الحشارة السفن الحربية التي احسبت بسبب شديد . واشنطن ١٦ - بواصل المستر اي وزير الخارجية البريطانية منذ وصوله الى اميركا اتصالاته بالاشخصيات الاميركية الكبيرة وقد اجتمع بالرئيس روزفلت اجتماعاً طويلاً اجتمع بالرفيق ليتينوف مدير روسيا في واشنطن .

الجزائر ١٧ - مسرح الاميرال مير اندور كستنهام القائد العام للاسطيل البحرية الخفيفة بان نحواً من السفينة للحلفاء . وصلت الى شالي افريقيا غفودة منذ بداية هذه الحملة . بيروت ١٨ - اذاع الجنرال كاتروبيانا باعادة الحياة الدستورية الى لبنان ، وكلف الدكتور ايوب ثابت ليكون رئيساً للدولة ورئيساً للحكومة ، وقد اختار الدكتور ثابت لداوتة امير خالد شهاب والاستاذ جواد بولس . شيكاغو ١٩ - خطبتة لمارشال شان كاي شلت

فأقلت ان الصين تحرب بحافاة روسيا وغيرها من الدول وتتبر الحرية المالية هدفها ، ثم قالت ان الصين بحاجة الى الطائرات ، الطائرات المدينة ، سيدي ١٩ - واقع مجلس النواب الاسرائيلي منذ جلسة دامت ٢٦ ساعة بدون توقف في زياة رواتب نقاد اخنود بنسبة ٢٠ بالمئة . لندن ٢٠ - اعان انضمام غينيا الفرنسية الى اللجنة الوطنية الفرنسية وقد اقرق الجنرال دبول الى محافظ كابين يقول فيها ان وطنية السكان هي التي دفعت غينيا الفرنسية الى الانضمام الى الاميراطورية التي تحارب من اجل حرية العالم . لندن - بقت التبرعات هذا الاصروع لاجل «اجتعة النصر» ١٦٠ مليون اجرة اسرائيلية .

تطلب مجلة "الاديب"

بيروت	»	السيد خضر النحاس وعموم الباعة
طرابلس	»	مكتبة زليط ومن عموم الباعة
زغرتا	»	السيد يوسف ديب
حلبا	»	السيد عبدالله عفوض
عاليه	»	مكتبة السيد نجيب سلان
زحلة	»	السيد جوزف مطران
بعلبك	»	السيد علي الاحمر
دمشق	»	السيد عباس الرومي وعموم الباعة والمكاتب
حمّاه	»	مكتبة السيد عبد الحميد طباع
حصص	»	السيد عبد السلام الباعي
	»	السيد توفيق الشامي
در الزور	»	السيد اديب اوج
اللاقيّة	»	السيد حنا نصره
	»	عكاظ الطيلة لصاحبها السيد احمد خالد مترجلي
طرسوس	»	استاذ صالح علي
حلب	»	السيد جان رزق الله كردي
الباب	»	الشباب لصاحبها السيد محمد سعيد المكتبي
	»	السادة حنا وجورج بوري
يافا	»	
حيفا	»	السيد توفيق زعبلوي
تأبلس	»	السيد ماجد القطب
فلسطين عامة	»	عموم المكاتب والباعة
بغداد	»	مكتبة السيد عبد الكريم زاهد
	»	وفروعها
الموصل والبصرة	»	عموم المكاتب والباعة
مصر	»	

ومع تاع : في سوريا ولبنان ٥٠ غرناً لبنانياً في العراق ٦٠
تسلاً في فلسطين ٨٠ ملاً وفي مصر والسودان به غروش مصرية
الادرة بحاجة الى وكلاء في سائر الجهات

لندن ٢١ - بدأ الجنرال ألان مومبري هجومه على خط ماريت وتوسعه
اعمره - جرى تبادل الأسرى بين الانكليز من جهة والالمان واليابانيين من
جهة ثانية . لندن ٢٢ - حصلت اضطرابات جديدة في «ليون» بفرنسا
قتل خلالها الوشيون عدة ضباط من الالان . وقد نظم هذه المظاهرات
نساء فرنسيات . لندن - شن الامريكويون هجومهم في الوقت الذي كان
الجيش الثامن البريطاني يقوم بهجومه برون ٢٣ - اذاعت وكالة الد.ن.ب ان
المباليات توقفت عن حجة للدوتنر . وهذا التبا يتفق ويتأود عن شوكولم
يبدو ان الروس يهاجمون بجزء من ناحية تشوناياف يحيلين محاولات الالان
امير الدوتنر . لندن - هاجمت العائرات الاميركية قاعدة ولغاشافن
الالمانية بنجاح . زورديخ - تلقى الاعمار الفرنسيون المهاجرون في الساقوي
الاعدادات الحربية والتذنية . لندن - زارت اللجنة العسكرية التركية
التي وصلت الى افريقيا الجنرال انزويغوير والجنرال كوتنهام ومرتل
الجوتيدر وسفر القيادة الفرنسية العامة . لندن ٢٤ - غارت ٣٠٠ قاذفة
ذات اربعة محركات على قاعدة سان بازر وكانت النارة هجعة . نيويورك -
خرقت القوات البريطانية خط ماريت بتونس .

لندن - قطع وزير فيشي في ستر كبولوجي جميع وتقي القوضيه علاقاهم
مع فيشي . لندن - أعلن راديو اباجه ان عدد الفرنسيين الانصار الذين بقاوا
في جبال الساقوي بلغ ١٢٠٠٠ مقاتل ضد المحتل . لندن - وصل السيد
الير فيغي امير من اتحاد العمل العام من فرنسا الى لندن واعان انضمامه
والانضمام الطبية العامة الى الجنرال ديغول . استنبول - تعرفت الصحف
الرومانية بقيام مظاهرات ضد الحرب وصد هذا الزوم ك رومانيا ،
ومرور التشاوم ينس نقوس الشافوتوز مع مائتي مادية للالان في كل اغا.
البلاد الرومانية . دمشق ٢٥ - اعلن الجنرال كاتر هجوعه الحياة الدستورية
الى سوريا وكلف عملا كالاوي برئاسة الدولة ووزارة الداخلية للشارف
على الانتصابات المبلية . مدريد - استعملت عدة سوقيين كبار في سفارة
فيشي بدميد وانامل الفيشيون في برنارته وتياروه القيا واما وتقفوا
علاقاهم مع فيشي . لندن - عاد سفير اسبانيا في برناتيا العظمى الى لندن
بعد تيب ثلاثة اشهر . شونغ كنغ - لأول مرة في التاريخ يتناول
التجديد النساء في الصين . ويشمل هذا القانون النساء المقروحة اعازهن
بين ١٨ و٥٥ سنة للدخول في المصالح الإضافية للجيش لمدة الحرب .

استنبول - حصلت اضطرابات خطيرة في اثينا على اثر محاولة ارسال
عمال يونانيين الى ألمانيا . وقد تظاهر عدد كبير من العمال والطلاب
فألقى جنود الاحتلال عليهم النار وقتلوا منهم بضع عشرات . لندن -
اكتشفت الفستابو منظمة جاسوسية ممتازة التجسس في قلب الوزارة الخارجية
الالمانية وكانت تعمل لحساب روسيا . لندن - وصل من فرنسا الى لندن
الجنرال ديغول . لندن ٢٦ - احتج الملك ليوبولد لدى على ارسال
العمال البلجيكيين الى ألمانيا الفاعرة - قام الملك فيصل الثاني عامل العراق
مع حاشيته بزيارة الى مصر . اعمره - جرت مظاهرات ودية غور كيا
في مجلس العموم والوردات البريطانيين . وأعلن زعيم مجلس العموم البريطاني
انه تلقى برقية من السيد سراج اوغلو يلته فيها التبرع بحكومة الجديدة
بقوم على الصداقة والانكليزية - التركية . عاليه ٢٧ - أعلن راديو آبه
ان الجنرال كاترو وصل الى مطار البيت الأبيض فقياهه الجنرال جبرو .
فيشي - أعلن راديو فيشي ان اربعة وزراء قد استقالوا من حكومة
لالان . لندن ٣٠ - احتل الجيش الثامن خط ماريت بكماله .